نقد المسلمين

للثنوية والمجوس

مع الرد على ابن المقفع

obeikandl.com

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
جميع الحقوق محفوظة

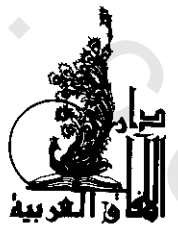

القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٧٢٨ لسنة ٢٠٠٠
الترقيم الدولي : 977-5727-56-1

obeikandl.com

رسائل الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي - ت ٢٤٦هـ (٥)

نقد المسلمين

للثّنويّة والمَجُوس
مَع الرّدّ على ابن المقفّع

تحقيق ودراسة
إمام حنفي عبد الله

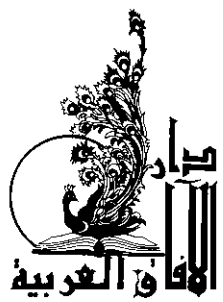

دار الآفاق العربية

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ؛ ﷺ

لم يعرف دين من الأديان ، أو عقيدة من العقائد هجومًا عليه وحربًا مثل ماعرف الإسلام وعقيدته ، ويبدو أن معركة الحق والباطل ، والخير والشر ، والهدى والضلال قائمة إلى قيام الساعة .

انتصر المسلمون فى فتوحاتهم الأولى انتصارات باهرة ، وفى أقل من ربع قرن من الزمان محقوا دولتين من أكبر دول التاريخ القديم ، هما دولتا الفرس والروم ، وانتهت الحرب فى ميادين القتال لتبدأ الحرب فى ميادين أخرى ، من أبرزها ميدان الثقافة .

وهكذا اصطدمت حضارة وليدة بحضارات قديمة لها جذورها ، وكانت تعتمد هذه الحضارة الوليدة الجديدة على أسس راسخة من المبادئ الخالدة نزل بها وحى السماء ، لذلك صاغت من صدامها الحضارى الأول بالحضارات الأخرى ، حضارة رائعة باهرة أذهلت العالم . فبرزت فى ميدان السياسة والاجتماع والاقتصاد والحرب والثقافة ، إلخ ..

وحاول أعداؤها هدمها من الداخل بطرق عديدة منها تشويه هذه الحضارة ، فعمدوا إلى ركائزها الأساسية فهاجموا النبى ﷺ فتعرضوا لذاته وشككوا فى أخلاقه وأمانته ونبوته والقرآن الكريم والسنة النبوية ، وكذلك صحابته الأمناء على التطبيق السليم له فى عهد الراشدين .

وتناولت هذه الحملات الشرسة على الإسلام العقيدة ، فأصحاب الديانات لجأوا إلى إنكار رسالة النبى ﷺ ، كاليهود ، أو إنكار التوحيد وإثبات الثلاثة كالنصارى ، أما المجوس والمانوية فقد كان جرحهم أكبر إذ أسلم الكثيرون من رعايا الدولة الفارسية البهلوية ، ودخلوا الإسلام طواعية وحسن إسلام الكثيرين .

وواجه الإسلام الكهان وعبدة الأصنام والمجوس وأصحاب البد ، وأصحاب مانى

وبوذا ، والبراهمة فى الشرق ، وكلها أديان لها فلسفاتها وعقائدها وفكرها ، وواجهت هذه الأديان الإسلام أيضا ، وبلغت ذروة المواجهة فى العصر العباسى إذ أفسحت الدولة صدرها لجميع المسلمين ، فاستغل أصحاب الأهواء والأغراض الدنيئة هذه السماحة فى حربهم ضد الإسلام ، وانتشروا فى أرجاء العالم الإسلامى ، وحاولوا نشر الإلحاد والزندقة تحت ستار الجدل والنظر أو تحت ستار المجون والأدب .

وواجه علماء المسلمين هذه التيارات المتعاقبة بالنظر والإقناع ، وألف كثيرون من علماء العقيدة رسائل فى الرد على الثنوية والمجوس وغيرهم من أصحاب العقائد الشرقية ، وبينوا باطلهم وسلطوا الأضواء على أديانهم .

فمن هؤلاء المانوية والمجوس والديصانية والمزدكية وكيف رد عليهم المسلمون ، وهل هذه الرسالة التى بين أيدينا نجحت فى الرد على ابن المقفع والمانوية ؟.. هذا ما سنتناوله بالعرض فى هذه المقدمة عن نقد المسلمين لعقائد الثنوية والمجوس ، وأخذنا نماذج من هذه الردود عند العديد من كبار علماء الفرق كأبى بكر الباقلانى القاضى الأشعرى الشهير ، وابن حزم الأندلسى المتكلم والفقيه الظاهرى ، ثم صاحب الرد على ابن المقفع الإمام القاسم الرسى ، إمام الزيدية فى عصره وبعد عصره ، وصاحب الفقه القاسمى .

وأرجو أن يحظى هذا العمل بالقبول ، وآمل أن يكون مقدمة لعمل أكبر فيما بعد ؛

والله ولى التوفيق وهو من وراء القصد

إمام عبد الله

مانى والمانوية Manie and Manichaeism

إذا أردنا معرفة المذهب الثنوى .. أو الثنوية يجدر بنا أن نعرف شيئًا عن مؤسسها وأين نشأت ؟

ترجع إلى مانى بن فاتك ، مؤسس المانوية ، الذى ولد بجنوبى بابل نحو سنة ٢١٦م أى بعد ميلاد المسيح ، عليه السلام ، وأختلف فى أصله ، إلا أن أقرب للصواب أنه كان فارسى الأصل ، وتربى تربية دينية ، هيئته فيما بعد إلى ادعاء النبوة وهو فى سن صغيرة فى الرابعة والعشرين من عمره . أما عن أسباب ادعائه النبوة فى هذه السن وبواعث ذلك فهو أمر يصعب معرفته أو التكهن به ، لأن أغلب المراجع التى أرخت له تقف عند أسباب ادعائه للنبوة ، إلا أن الظاهر من ذلك هو أن ميوله الشخصية وبيئته والتربية الدينية التى تلقاها قد أثرت كثيراً فى ذلك [١] .

وشرع يبشر بالمانوية وقصد الهند ، ولما ارتقى شابور عرش فارس (٢٤١ م) استدعاه ، لكن دعوته لاقت معارضة شديدة من كهنة الزرادشتية ، فلما نصب بهرام بن شابور ملكًا قضى بإعدامه (٢٧٢ م) .

وتعتبر المانوية فرقة غنوصية مسيحية ، وهى من أخطر الدعوات على العقيدة المسيحية والأفكار التى تعرضت لها منذ بشر بها المسيح ، عليه السلام ، بل تعتبر من أطول هذه الدعوات التى أثرت فيها إذ استمرت من القرن الثالث الميلادى حتى القرن الثالث عشر .

انتشرت المانوية وشاعت واعتنقها الكثيرون فى سوريا وآسيا الصغرى والهند والصين ومصر وبلاد البلقان وإيطاليا وفرنسا ، وكان القديس أو غسطين نفسه مانويا لبعض الوقت .

وتقوم عقيدة المانوية على ثنائية الإله ، وهى أهم فكرة فى هذه العقيدة ، فهناك إله للنور وإله للظلمة ، والأول إله للخير والخصب والثمار ، والثانى إله للشر والدمار .

---

(١) انظر د / عبد المنعم الحفنى : الموسوعة الفلسفية ، ص ٤١٧ .

وعند هؤلاء الذين يرجعون المانوية إلى أصول مسيحية أو يعتبرونها دعوى مسيحية يفرقون بينهما فى أن المانوية لا تنتهى فى مقولتها إلى ما انتهى إليه المسيحية من أن الثلاثة فى واحد ، فالإلهان عند الثنوية منفصلان تماماً ولهما وجود قديم منذ الأزل .

وتخالف كذلك المانوية تلك الفرق التى تقول بأن إله الظلام أو الشر تولد فيما بعد من أيون الحكمة التى تطاولت على الحضرة السينة فى محاولة لتعرف السر الإلهى فكان سقوطها ، وميلاد أركون أوسيد الشر من خطيئتها .

والحقيقة تعد المانوية مزيجاً من المسيحية واليهودية والبوذية والزرادشتية ، فهى تعتبر فلسفة توفيقية أو تلفيقية ، فقد شابهت هذه الفلسفات فى جوانب عدة ، وخالفتها من حيث عدم الانتماء لواحدة بعينها .

أما من حيث التنظيم والهيكلية ، فقد قامت بداية فى كنيسة على رأسها الإمام فى بابل ، ويليه اثنا عشر حوارياً ، ثم اثنان وسبعون أسقفاً ومن له أدنى معرفة بتاريخ نشأة المسيحية لا يجد كبير فرق بين تنظيم المانوية والتنظيم الذى اتخذته المسيحية فى بدايتها ، ثم ماثلتها فى مجئ الكهنة والشمامسة والقول بالمعمودية والقربان ، وكانت المانوية تأخذ من كل الأديان وتحرم اللحوم ، وستجد لهذه الدعوة أثر عند الإسلاميين فيما بعد . .

وكان يدعى مانى أنه النبى الرابع والأخير ، سبقه المسيح وزرادشت وبوذا ، لكنه يمتاز عليهم بأنه وعظ وكتب بينما هم اقتصروا على الوعظ فقط ، لكن كتبه وكتب المانويين اندثرت ولم نتعرف إليها إلا من خلال ما كتبه الآخرون عنها ، واخصهم ابن المقفع وابن النديم والشهرستانى [1] .

والحقيقة هناك من كتب سوى هؤلاء عن المانوية كالقاسم بن ابراهيم المتوفى (٢٤٦ هـ) والذى نقوم بتحقيق رسالته هذه ، وأيضا الباقلانى المتوفى (٤٠٣ هـ) وكلاهما سبق ابن النديم (٤٣٨هـ) والشهرستانى (٥٤٨هـ) وعلى قدر ما أثرت المانوية فى غيرها من الفلسفات الشرقية وتأثرت كان تأثيرها محدوداً فى الفلسفات

---

(١) عبد المنعم حفنى : المصدر السابق ، ص ٤١٨ .

العقلية والإغريقية فنجد تأثيرها محدوداً فى الأفلاطونية المحدثة ويرجع ذلك لطبيعة المانوية وما تحمله عقائدها من خيال جامح وبعد ، إلى حد ما ، عن العقلانية وما تمثله الأفلاطونية ومريدها من فلسفة عقلانية رفيعة [١] .

* * *

obeikandl.com

---

(١) راجع د/ حفنى - المصدر السابق .

obeikandl.com

الثنويـة في المصطلح

كما يسجل المعجم الفلسفى أن الثنائية Dualism ، فلسفة تقابل الواحدية وتذهب فى تفسير العالم إلى القول بمبدأين متقابلين كالخير والشر عند « الثنوية » والنفس والجسم عند « ديكارت » . وتسمى أيضا « اثنينية » [1] .

وتتعدد المفاهيم الفلسفية للثنائية مما دعى د/ جميل صليبا إلى التمهيد للثنوية بقوله إن الثنائية Dyade وأصله فى اليونانية Duados وهو معنى مشتق من (Duo) ومعناه : اثنان والثنائى من الأشياء ما كان ذا شقين . والثنائية هى القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون ، كثنائية الأضداد وتعاقبها ، أو ثنائية الواحد والمادة (من جهة ماهى مبدأ لعدم التعين) ، أو ثنائية الواحد ، وغير المتناهى عند الفيثاغوريين أوثنائية عالم المثل وعالم المحسوسات عند أفلاطون إلخ . .

والثنائية مرادفة للأثنينية ، وهى كون الطبيعة ذات مبدأين ويقابلها كون الطبيعة ذات مبدأ أو عدة مبادئ .

وهكذا نجد أن الثنائية مبدأ قديم قدم الفلسفات الإنسانية وامتدت هذه الثنائية من العقائد النظرية إلى الفكر الفيزيقى ، وهو ما نجده من تحليل المفاهيم الثنوية واحدا بعد الآخر .

فإذا كانت الثنوية Duaeisme فى البدايات عقيدة دينية تقول بإلهين اثنين : إله الخير ، وإله الشر ، واعتقدوا أن العالم منقسم إلى خير وشر ، ويستحيل أن يكون الواحد خيراً وشراً بالضرورة ، فكل من الخير والشر فاعل إذن على حدة ، وفاعل الخير هو النور ، وفاعل الشر هو الظلمة ، والمجوس منهم ذهبوا إلى أن فاعل الخير هو (يزدان) ، وفاعل الشر هو (أهرمن) ، ثم ذهبوا إلى عبادة النار ، لأنها عندهم أساس الحياة ، وأصل الوجود .

ويبدو فى تعريف د/ جميل أنه وجد تواصلاً بين الفلسفة الثنوية والمجوسية وهذا صحيح إلا أن هذا الاتصال لا يمتد إلى جذور هذه الفلسفات ، فالمجوسية والعديد من الفلسفات الفارسية والهندية القديمة أرضية وأصلها لا ينتمى إلى السماء ، أما

---

(١) انظر المعجم الفلسفى : مجمع اللغة العربية ، ص ٥٨ .

المانوية فتدعى أن أصولها سماوية ودينية ، ولذلك تجد التأثير والتأثر كبير بين هذه الفلسفات والمانوية .

وامتدت الثنوية إلى المفاهيم الطبيعية والفيزيقية فهى تعنى أن الطبيعة ذات وحدتين ، أو هى كون الشئ الواحد مشتملاً على حدّين متقابلين ومتطابقين ، كتقابل الفكر والعمل فى الحالات الثلاث التى يتألف منها قانون التطور الإنسانى عند (أوغست كوست) ، وهى الحالة الإلهية المطابقة للمجتمع الحربى ، والحالة الفلسفية المطابقة للمجتمع الإقطاعى ، والحالة الوضعية المطابقة للمجتمع الصناعى أو كالتقابل المنطقى الذى نجده بين العلوم العقلية ، والعلوم التجريبية ، فإن فيه اثنينية كاثنينة العقل والتجربة ، والخيال والحقيقة ، والإمكان والوجوب ، والحق والواقع .

وتتطرق الأثنينية Duality إلى معانٍ أخرى منها كون الشئ مشتملاً على مبدأين مستقلين لا ينحل أحدهما إلى الآخر ، كاثنينية الحقية والخلقية فى فلسفة القديس توما الإكوينى ، أو الهوى والحرية ، أو الإرادة والعقل ، أو الجسم والروح ، فى فلسفة ديكارت ، أو الخير والشر ، أو النور والظلمة فى المانوية .

ومن فضول القول بأن الثنائية تتناول أيضا قانون التناقض ، فهو قانون ثنوى أيضا ولذلك يسمى بقانون الاثنينية ويتمثل فى أن (أ) لا يمكن أن يكون (ب) ولا (أ – ب) فى وقت واحد ، بل إن صورة هذا القانون فى الجبر المنطقى على هذا النحو س x (أ – س) = ٠ أو (س – س^{٢} = ٠) أى س^{٢} = س

وهوما يعنى أن ضرب الحد فى نفسه أو القضية فى نفسها معادل لمجرد تصور ذلك الحد أو للتصديق بتلك القضية تصديقًا بسيطًا .

وإن لم يكن بحثنا حول الثنوية المنطقية إلا أنه يحسن بيان أبعاد الثنوية فى نواح متعددة . عمومًا القضية الثنائية فى المنطق هى القضية الحملية ، التى لم تذكر الرابطة فيها ، كقولنا : زيد قائم ، بخلاف القضية الثلاثية التى ذكرت الرابطة فيها ، كقولنا : زيد هو قائم [١] .

---

(١) أنظر جميل صليبا ، المصدر السابق جـ ١ / ٣٨٠ ، ٣٨١ .

ويجرنا الحديث عن الثنوية الفلسفية فى المصطلح إلى بيان معنى آخر مقابل له وهو الواحدية Monism أو التعددية .

أ - **وتعنى الواحدية Monism** بوجه عام نزعة فلسفية ترمى إلى رد الوجود أو المعرفة أو السلوك إلى مبدأ واحد ، وتقابل الثنائية Dualisme - كما ذكرنا - والتعددية Pluralisme أيضا .

ب / ١ ، أما من الناحية الفيزيقية فالواحدية المادية Monisme materiel تعنى رد الوجود إلى المادة والمادة وحدها ، ويتبنى هذا الموقف فلسفات قديمة وحديثة عديدة .

ب / ٢ ، أما الواحدية الروحية Monisme spirituel فهى ترد الواحدية إلى الروح .

ب / ٣ ، أما الواحدية المثالية Monismeideal فتردها إلى المثل .

جـ- يسمى مذهب وحدة الوجود واحدية أيضا ، لأنه لا يفرق بين الله والعالم[١] .

أما التعددية Pluralism فهى أيضا تقابل الثنوية على وجه العموم وترادفها أيضا أما كيف ذلك فهو على النحو التالى من الناحية الفلسفية العامة فهى تفسير الوجود ، والمعرفة والسلوك فى ضوء مبادئ متعددة .

أما التعددية الإلهية Polytheim فهى تتفق مع الثنوية ، وتعنى العقيدة أو الفلسفة التى تقول بإلهين ، وهو ما قالت به الفلسفات الفارسية القديمة ومنها المانوية أو الإغريقية أيضا التى قالت بآلهة متعددة ، وهى بذلك تقابل التوحيد Monotheisme أو الشرك[٢] .

كان لابد من تحديد هذه المفاهيم الفلسفية ،

سواء التى تدور حول الثنوية أو ما يتعلق بها ، وبذلك تتم الفائدة عند التعرض للثنوية فى الغنوص الفارسى القديم ، وتأثيره فى الوسط الإسلامى عن طريق بعض الثنوية الذين أسلموا تقية مع بقائهم على أديانهم القديمة والدس للدين الجديد .

---

(١) انظر مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفى ، ص ٢٠٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٤٨ .

obeikandl.com

حول علاقة الفلسفة الهندية بالفارسية

يرى مؤرخو الفلسفة أن الفلسفة الفارسية ارتبطت بالفلسفة الهندية فالشعوب التى نزحت إلى بلاد الهند تخلف فريقٌ منها وعاش حيث نمت وازدهرت الحضارة الفارسية القديمة.

ومن أمارات هذه الصلات بين الشعبين وحدة المشاعر الدينية بينهما ، فقد عبدت فى فارس آلهة الهند وامتدت إليها فلسفات الأديان القديمة بالهند ، وإن اختلفت اسماء الآلهة عند الفرس فقد بقت واستمرت الصنفات الجوهرية والأخلاق والمميزات الأساسية الخاصة بهذه الأديان الواحدة من الهند ، ومن هنا تشابه الشعبين تشابهًا كبيرًا فى العديد من الجوانب الاجتماعية والأخلاقية وتوحدت ثقافة الشعوب على أثر هذا التأثير الفلسفى العميق.

سبب ضياع الديانة الفارسية القديمة:

يرجع السبب فى ضياع الديانة الفارسية القديمة إلى ضياع كتاب الفرس المقدس وهو «زند أفيستا» فلم ينسخ – كما هو بحالته الراهنة إلا حوالى القرن السادس بعد المسيح – وإن كان أقدم جزء منه – وهو «الجاتها» – يرجع تاريخه إلى القرن السابع مثل المسيح ، وهذا التأخر فى النسخ هو الذى أضاع الديانة الفارسية القديمة ، وحال بين العلماء وبين التحليل الدقيق الذى يتطلبه البحث الحديث [1].

عقائد بدائية:

نشأت العقائد الدينية فى بلاد فارس – كما الحال فى العديد من الحضارات القديمة – نشأة بدائية ساذجة فعبدوا النجوم ، وخصوا بالعبادة الشمس والقمر ، وقدسوا جميع مظاهر الطبيعة .

كما قدسوا الحيوانات – سيما المفترس منها – والطيور وعبدوها ، وعرفوا

---

(١) انظر د/ محمد غلاب : الفلسفة الشرقية ، ص ١٨١ .

عقيدة القربان والفداء ، وانتقلوا من عبادة البشر والآلهة المتعددة والكثيرة إلى عبادة الشمس مثلاً مع اعتقادهم أن هناك بعض الآلهة الأخرى التى تقربهم من معبودهم .

وقسم الفرس المخلوقات إلى مقدسة وغيرمقدسة ، وعاقبوا من يقتل بعض الحيوانات ، لاعتقادهم فى قداستها حتى الموت ، أو يفدى نفسه بطقوس وقرابين شبه خرافية .

وامتد التقديس إلى الموت نفسه فكانوا يعتقدون – وما زال ذلك الأمر موجوداً فى الهند – بأن من مات يجب أن تأكله وتمزقه الحيوانات المقدسة ! . . أو تأكل جسده النار المقدسة وهكذا .

وامتدت فكرة المقدس وغيرالمقدس إلى الذات الإنسانية فهناك أجسام مقدسة وأجسام نجسة ونفوس مقدسة ونفوس نجسة .

وامتزجت هذه الشعوب بالطبيعة امتزاجًا جعلها تعبد الخصب والنماء ، والأسباب التى تؤدى إلى الحياة فعبدوا الماء والهواء ، وقدموا على مذبح هذه الآلهة القرابين والهبات !

تطورالعقيدةعندالفرس:

لم تبق العبادة على الشكل البدائى الذى ظهرت به ، ولكنها تطوّرت وحَوّلت الآلهة إلى رموز كبيرة للخير والشر والحب والقوة ، كما استحالت بعض الآلهة إلى فكرة معبودة عقلية يُحيطها الكثير من الأساطير والخرافات .

وجدير بالذكر أن يقال أن كثيراً من أبناء فارس وعوامها استمروا على عباداتهم القديمة ، وإن أخذت الديانات الجديدة فى الانتشار والتوغل فى عقول ووجدان الشعب وعرفوا إلهًا جديداً جاءت به الزرادشتية « اهورامازدا » للخير والشر وانحصرت موجة عبادة الطبيعة ، أو عبادة المخلوقات الأخرى إلى حد كبير .

* * *

الزرادشـتية

كـان لابد من الحـديث عن الزرادشـتيـة لبـيـان مـدى العـلاقـة بينهـا وبين الثنوية «المانوية» حيث اتخذت كلا الديانتين فى عبادة إلهين اثنين احدهما للنور والآخر للظلمة ، أحدهما للخير والآخر للشر وإن كان بينهما فارقًا غيركبير سنوضحه فيما يلى :

زرادشت بين الحقيقة والخرافة :

اختلف الباحثون حول حقيقة زاردشت التاريخية واختلفوا أيضا فى زمان وجوده ، والأقرب من هذا كله أنه شخصية حقيقته وجدت فى القرن العاشر قبل الميلاد .

وتتفق ملامح شخصية زرادشت بين «بوذا» فى الفلسفة البوذية والمسيح فى الديانة المسيحية حيكت حوله الأساطير فقد صاحبت مولده العديد من المعجزات التى جرت عليه حسد الكثيرمن الناس ، ولما كبر وترعرع اتخذ من الفلوات موطنًا وسكنًا وناجى ربه مناجاة صوفية خالصة ، وأنه أعلن النبوة ودخل على الملوك ودعاهم لنفسه ، وكان شجاعًا مات فى أحد الحروب التى قادها .

لقد واجه زرادشت الأديان القديمة فى فارس وحاربها منددًا بالرزيلة ، ووجه الأنظار حول فكرة الخلود والتى تصاحب الفضيلة ، وتعتبر الفضيلة هى الهدف المنشود من الفلسفة الأخلاقية عند زرادشت ، فالعدل والحق والمساواة ومسالمة الطبيعة واحترام الإنسان ، والحق والخير والواجب هى أبرز سمات فلسفة زرادشت الدينية .

ويمكن القول بأنه كان باحثًا عن الخلود النفسانى والسمو الروحانى ، باحثًا عن الحق والعدل وكيف يستمدهما من الله «ياهورا» ليسود الكون الخير والحق والعدل ويفنى الشر والخراب ، والمتمثل فى إله الشر والذى هو فى النهاية إله غير أصيل وفكرة شريرة سنتحدث عنها فيما بعد .

ويشبه زرادشت أخناتون فى الديانة فى الحضارة الفرعونية القديمة ، فكلاهما كان

ثورة على القديم ، واتجه نحو التغيير الإجتماعى والأخلاقى المنبثق من فكرة جديدة جاء بها ، وإن كان زرادشت قد نجح فيما فشل فيه اختاتون حيث امتدت أفكار زرادشت وعاشت بعده على عكس الآخر .

سمات الديانة الزرادشتية :

١- نادى زاردشت بعالمية الإلهة فى مقابل الديانات القديمة والتى كانت تؤمن بألهة محلية متعددة وكثيرة .

٢- كما نادى بنفسه نبيًا يوحى إليه من قبل « أهورامازدا » إله الخير الواحد الذى لا شريك له ، والذى له البقاء والخلود الأبدى بعد هزيمة إله الشر « أهرمان » . وستنتصر الفضيلة على الزريلة فى النهاية .

٣- أكد على فكرة أساسية وهى انتصار الخير ، وأنه سبب الوجود وسر الحياة ، ولتحقيق مبدأ الخير ينبغى تقوية كل الوسائل التى تكفل له البقاء ، مثل احترام الإنسان وإعلاء القيم التى تحافظ عليه وعلى تكاثره وخصوبته والعمران على سطح الأرض .

٤- تجلت فكرة التوحيد عند زرادشت فى مزجه بين « مازدا » وبين الخير والذى له الخلود والبقاء بعد انتصاره على إله الشر أهرمان ، ولذلك دعا إلى محاربة الشر والرزيلة حتى تفنى .

ولذلك يرى الباحثون أن الزرادشتية ديانة وفلسفة راقية ، حيث قامت وتأسست على فكرة الخير كالبوذية حيث قامت على فكرة ومبدأ الألم ، والمسيحية على مبدأ الحب ، والإسلامية على مبدأ التوحيد .

ولكن هل تصور زرادشت وغيره من الأنبياء أن تتحول دياناتهم من التوحيد إلى الشرك مرة أخرى فيعبدوا مع الله أو من دونه ؟ فقد عبد بوذا وزرادشت والمسيح مع الله ومن دونه واندثرت أبرز وأهم معالم هذه الديانات الكبرى وتشوهت ملامحها الفلسفية ، وربما رجع ذلك لطبيعة راسخة فى الشعوب التى جاءوا إليها وعدم قدرة على فهم المبادئ الرئيسية والمحافظة عليها سليمة نقية على الدوام .

ولكن من الناحية الفلسفية تعتبر الزرادشتية ديانة ثنوية فهي تقول بإلهين اثنين : أحدهما « أهرامازدا » ، أو « هرموز » وهو إله للخير والخصب والثمار ، أما الآخر فهو إلى للشر والخراب يسمى « أهرمان » .

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

فرق المسلمون فى نقدهم للديانات والفلسفات بين من له كتاب ومن ليس له كتاب ، وبين الدينى واللا دينى وكذلك فرقوا بين من له كتاب ومن له شبهة كتاب فكيف فرقوا بين النوعين الأخيرين ؟

يدفعنا هذا إلى الرجوع إلى المصادر الإسلامية التى أرخت وصنفت للملل والنحل ككتاب الشهرستانى ت ٥٤٨ هـ « الملل والنحل » ، وكتاب « الفصل فى الملل والنحل » لابن حزم الأندلس الظاهرى ت ٤٥٦ هـ ، والفهرست لابن النديم وغيرها من كتب الملل والنحل عند الإسلاميين .

وعند تحليل كلام الشهرستانى فى كتابه حول من له شبهة كتاب والتى ذكر فيها المانوية مع من ذكر من أصحاب القول بإلهين نجده يتحدث عن :

أ - صحف إبراهيم عليه السلام :

فيجعلها من قبيل ما صنف (شبهة كتاب) ، ولا أدرى لماذا صنف صحف إبراهيم هنا ؟!.. رغم ما ذكره الله عز وجل عنها : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)** ﴾ [١] أو ليس بنص القرآن هى كتاب منزل على رسول مرسل قال تعالى : ﴿ **وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧)** ﴾ [٢] ، وقال : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ** ﴾ [٣] ، وقال ﴿ **وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ** ﴾ [٤] ، وقال تعالى : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ..** ﴾ [٥] فأين الشبهة مع ما جاء فى صحيح النص القرآنى ؟!

عمومًا ما أرى إلا أن الشهرستانى قد أخطأ بشدة عندما جعل صحف إبراهيم شبهة كتاب مع أنه يذكر أنها احتوت على شرائع ومناهج علمية وعملية !..

فيبين أنها احتوت على علة الخلق وكيفية الخلق والإبداع ، وسنة الله وحكمته فى

---

(١) سورة الأعلى : الآيات ١٨ - ١٩ .
(٢) سورة النجم : الآية ٣٧ .
(٣) سورة الأنبياء : الآية ٥١ .
(٤) سورة الشورى : الآية ١٣ .
(٥) سورة البقرة : الآية ١٣٦ .

النظام والخلق والتقدير وأنه يرجع لمشيئة السرمدية الأزلية ، وهدايته تعالى لخلقه ، وتقديره المحكم المعلوم المحتم ، وجمعه تعالى بين علمى الخلق والتقدير وأنه لا يخرج مخلوق ولا معلوم عنهما قال تعالى : ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③** ﴾ [١] .

وكون الخلق والتقدير من الله خلقًا وإبداعًا فى بدء الأمر ومحض الهداية منه لما خلق وقدر أجرى على لسان موسى عليه السلام قوله ﴿ **الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ⑤٠** ﴾ [٢] فخلق بحكمة وعلة الخلق ما قدّر من هدايته لهم لما أمر .. ويسمى الشهرستانى ذلك الجانب العلمى من منهج الله فى صحف إبراهيم [٣] .

أما الجانب العملى فهو عبارة عن مجاهدة النفس ومحاربة شهواتها وآفاتها وإكسابها الصفات والفضائل والخصال الحميدة بذكر الله وإقامة العبادات ، وحرمانها من شهواتها ، وإيثارها الآخرة على الدنيا : « ولن يحصل البلوغ إلى كمال المعاد إلا بإقامة هذين الركنين ، أعنى الطهارة ؛ والشهادة .

والشهادة ، والعمل كل العمل لا يعدو هذين النوعين » [٤] وذلك قوله تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ⑭ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ⑮ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ⑯ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ⑰ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ⑱ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ⑲** ﴾ [٥] فبين ، عز وجل ، أن الذى اشتملت عليه الصحف هو الذى اشتملت عليه هذه السورة ، إذًا فهو منزل من منزل ، وفى ذلك غاية الإعجاز الحقيقى .

* * *

---

(١) سورة الأعلى : الآيات ١ – ٣ .

(٢) سورة طه : آية ٥٠ .

(٣) انظر الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ / ٢٧٣ .

(٤) انظر الشهرستانى : المصدر السابق جـ ١ / ٢٧٣ – ٢٧٤ .

(٥) سورة الأعلى : الآيات ١٤ – ١٩ .

عقائد الناس بين التوحيد والشرك

انقسم الناس قديمًا بين موحد ومشرك فى توحيده من حيث الاعتقاد .. هذا بالإضافة إلى الدهرية ومن أنكر وجود إله تمامًا .. فكيف دخل الشرك فى عقائد الناس؟

اعتقد الناس بالوسائط بينهم وبين الله ، لظنهم بصعوبة التلقى منه مباشرة أوامره ، أو تبليغ الله دعاءهم وأمانيهم ، فقالوا بالوسيط الروحانى ورفضوا الوسيط الجسمانى .. ظنًا منهم طهارة الروح ونجاسة الجسد ولطف الأرواح وقربها من الله وكثافة الأجسام . قال تعالى : ﴿ **أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ (١) .

ولكن لم يدم الأمر طويلاً على بقاء الوسيط الروحانى فلجئوا إلى النجوم والكواكب فعبدوها كوسائط وانقسموا فى ذلك إلى فرقتين فرقة عبدت النجوم والأخرى عبدت الكواكب ، ثم انتهى الأمر بفريق منهم إلى عبادة الأصنام كوسائط بينهم وبين النجوم والكواكب !

وهكذا اختلط على الناس أمر الاعتقاد وتخبطوا فرقًا وشيعًا كل منهم يدعى أنه على الهدى وعلى الحق ، ولذلك سمى العلماء من يتنقل بين الأديان مبدلا دينًا بآخر أو عبد الكواكب والنجوم « صابئ » وهم أولئك الذين عناهم سيدنا إبراهيم ، عليه السلام ؛ بدعوته واحتج عليهم ، كما ذكر القرآن الكريم .

فلم يكن من المعقول أن يظل الناس على جهلهم وعماهم يعبدون الأصنام فى الأرض أو النجوم فى السماء !

إبراهيم يحارب عبادة الأصنام :

ويسوق القرآن حجج وبراهين سيدنا إبراهيم ، عليه السلام ، التى مارسها واستخدمها فى إقناع عبدة الأصنام بفساد عبادتهم والتحرر من عبادة الآلهة الأرضية العاجزة ، وترك التوجه إليها إلى الله وحده لا شريك له ، وفى سورة الأنبياء صورة كاملة لما دار بين إبراهيم وقومه حول فساد عقيدتهم وبيان أن ذلك بوحى من الله

---

(١) سورة الزمر : آية ٣ .

تعالى ، وليس الأمر بعيد عن هدى السماء والآيات تدل على استحالة أن يهتدى بشر بنفسه إلى مثل هذه الأدلة المقنعة الواضحة ، وكذلك منهج التطبيق العملى والتدرج فى الحوار والفعل .

فقد بدأ بالأقربين أبيه وأهله ثم خرج إلى قومه بعد ذلك ، ويبدو أن جهاد إبراهيم كان جهاد قوليًا لفظيًا لم يتجاوزه إلى المحاربة بالسيف إلا بإذن من ربه وهو نموذج وصورة لما حدث بعد ذلك على يد سيدنا محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١)** ﴾ (١) . قال : ﴿ **إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ (٥٥)** ﴾ (٢) .

وهكذا يقرر إبراهيم أمام أعينهم حقيقة ما يعبدون ، إذ ليس من المعقول أن يعبد الإنسان صنمًا يصنعه من خشب أو من حلوى فإذا جاع أكله !

ويبصرهم بأن الله أكبر من هذا بكثير فهو الخالق والمبدع الأعظم الذى حوى الوجود وقدر الخلق وكل شئ شاهد على أنه الخالق الصانع المبدع ﴿ **قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦)** ﴾ (٣) .

وما حدث بين إبراهيم وقومه معروف مشهور يدل على جهاد نبى ضد تقاليد وعقائد بالية ، وصمود عقيدة مؤيدة بوحى السماء ضد عقائد مختلفة ومفتراة ، ليس بينها وبين الحق أو العقل نسب أو رابطة علاقة تكفل لها حق البقاء سوى التعصب الأعمى والوهم وعبادة الأساطير وخرافات الأولين !

ولم ينته جهاد إبراهيم ، عليه السلام ، ضد العقائد الشركية فى عصره عند هذا الفريق بل تناول أيضا فريقًا آخر وهم عبدة النجوم والكواكب ، وليس هناك ، كما ذكرنا ، كبير فرق بينهما فهؤلاء جعلوا شركهم فى السماء والآخرون جعلوه فى الأرض .

ويسجل القرآن ما حدث بين إبراهيم ، عليه السلام ، وبينهم جميعًا فيقول تعالى :

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٥١ .

(٢) سورة الأنبياء : الآيات ٥٢ – ٥٥ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٥٦ .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) ﴾ (١) .

إن هذا المنهج الاستقرائى الرائع لم يكن أبداً إلا من هدى ووحى السماء وإلا كيف يهتدى إليه بشر من تلقاء نفسه .. وكان لهذا المنهج أن يمتد ليرى به المسلمون كل آيات الله فى الكون إلا أنهم استخدموه استخداماً ضيقاً فلم يتوسعوا فى تطبيقه ، ولم يطوروه أيضا ، من بسيط إلى كامل ليصلوا به إلى القمة كما أمرهم الله ، ولكن لهذا الكلام حديث وموضع آخر !

ومما يدل على أن إبراهيم ، عليه السلام ، تلقى الأدلة من السماء وأنها أرسلت هداياتها إلى الأرض لتصحيح المعوج من عقول وعقائد البشر حول حقيقة التوحيد والألوهية ، والعودة بالجميع إلى الحنيفية السمحة التى نزل بها إلى الأرض آدم وتلقها أبناؤه جيلا بعد جيل حتى فسدت الفطر وتحولت عنها إلى الوسائط ، ثم نسيت حقيقة التوحيد تماماً وعبدت الوسائط كلية !

يقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) ﴾ (٢) ثم يقول تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) ﴾ (٣) .

* * *

(١) سورة الأنعام : الآيات ٧٤ – ٧٩ ..

(٢) سورة الأنعام : الآيات ٨٠ – ٨١ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٨٣ .

obeikandl.com

عقيدة المجوس وفرقها

يقرر علماء المسلمين وعلماء الملل منهم أن المجوس هم عبدة النيران والقائلون أن العالم له أصلان : نور وظلمة . قال قتادة : الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن . وقيل : المجوس فى الأصل النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات . والمجوس أقدم الطوائف وأصلهم من بلاد فارس وقد نبغوا فى علم النجوم ..

ونحن بدورنا لا نستطيع التسليم بما قاله قتادة عن الأديان لأنه يمثل اجتهاد شخصى عنده ولا يوافق الحقيقة أبداً بحال ، كما أننا لا نقبل إرجاع المجوس إلى أصل لغوى من حيث الجذور ، لأن ذلك صناعة قديمة غير موفقة فى تعليل الأشياء .

ويقول الشهرستانى عن المجوسية أنها : الدين الأكبر والملة العظمى ..

هل المجوسية عقيدة توحيدية أم ثنوية ؟.. بداية أعتقد أنها عقيدة فى الأصل موحدة إلا أن مسار هذه العقيدة انتهى إلى اثنين ولذلك صنفها الكثيرون على أنها ثنوية تثبت أصلين إلا أن هذين الأصلين لا يجوز أن يكونا قد يمين أزليين بل النور أزلى ، والظلمة محدثة .

ولكن ما سبب حدوث الظلمة ؟ اختلف القدماء بين الفرس فقالوا من النور حيث أحدث فى نفسه فكرة شريرة انتهت بظهور الظلمة .. إلا أن الظلمة ليست أصيلة ولا دائمة .. ومع ذلك فقد شاركت الظلمة النور فى كل شئ .. والأمر على هذا الحال يبدو غير مفهوم عقلاً ، ولكن هذا ما حدث فى تاريخ العقيدة المجوسية .

وانقسمت المجوسية إلى كيومرتية ، وزروانية ، وزردشتية .

* * *

---

(١) انظر ابن خلدون : المقدمة جـ ١ / ٢١٥ .

١- الكيومرتــية

ذكر الشهرستانى هذه الفرقة كأحد فرق المجوس ، فمن الكيومرتيـة وما عقيدتهم ، وكيف نشأت وقامت هذه العقيدة ؟

فى حقيقة الأمر لا نكاد نجد إجابات شافية عن معظم هذه الأسئلة إلا أن ما يذكره الشهرستانى ت ٥٤٨ هـ ، يكفى لوجود تصور عام عن عقيدتهم .

فـقـد آمنـوا بإلهـين ، يـزدان ، وأهرمـن ، والأول قـديم أزلى ، والثـانى مـحـدث مخلوق . فكيف نشـأ المحدث ؟ قالـوا : من فكر يزدان فـقـد فكر فى نفسـه أنه لـو كان لى منـازع كيـف يكون ؟ والحـقيـقـة ينبغى الوقـوف عند هـذا التسـاؤل ، من أين جـاءته هـذه الفكر ومن هـو هذا المنازع المشـارك ، هـذا الآخـر ، الـذى يسلبـه ملكـه ؟!

يبدو تمامًا أن هـذا التسـاؤل سـاذجًا خرافـيًا يسـتحـيل على القـديم المنفـرد بالوجود التـفكيـر فـيه فضلاً عن طرحه ، إلا أن عـقليـة الأسطورة والخرافة عنـد الفرس أجازته واستساغت طرحه !

فما صنفات هـذه الفكرة ؟ من السهل أن تتكهن بأنها رديئة ولا تنـاسب طبيـعة النور ليحدث الظلام المنازع للنور !

ويستوقفنا هنا أن النور فكر فكرًا رديئًا ظلاميًا شريرًا مما يعنى أن أصل الشر خلقًا وإبداعًا منه ، ولم يصدر عن غيره فلمَ يعاديه ويناوءه ؟!

عـمـومًا صـار « أهرمـن » منذ الآن إلاها لـلشـر والـفـتنة والـفـسـاد والـفـسق والـضـرر والإضرار .

ونشأت الحرب بين معسكرين بين النور والظلمة بين « يزدان وأهرمن » .

والغريب فى الأمر أن يتدخل الملائكة للمصـالحة بين النور والظلمة وتسفر هذه المصالحة عن حصول الظلمة على العالم السفلى ، والذى أعتقد أنه الأرض فى مقابل العالم العلوى والذى هو السماء ، المهم حصل الشر على العالم السفلى خالصًا لمدة سبعة آلف سنة . ثم ماذا ؟

على أن يخلى العالم ويسلمه إلى النور بعد ذلك !! فلمَ يرضى الظلام بهذه القسمة والتي تبدو مجحفة لحقه ، وستنتهى بتلاشيه من الوجود تماماً ! ومتى كان الفناء اختياراً يختاره أحد ، ربما لأنه محدث وكل محدث لابد له من أن يفنى ولا يبقى الا القديم الأزلى !

يذكر الشهرستانى أن النور أباد وأهلك من كان فى الدنيا قبل الصلح ، أو ليس ذلك فعلاً شريراً ؟! أم ماذا يقول المجوس فى ذلك ؟!

تنشأ هنا خرافة غاية فى الاستحالة تقدمها لنا هذه العقيدة الأسطورية ، وهو أن النور يبدأ بقتل رجل يقال كيومرت وحيوان يقال له ثور ، فينبت من مسقط ذلك الرجل ريباس ، وخرج من أصل ريباس رجل يسمى : ميشة ، وامرأة تسمى ميشانة ، وهما أبوا البشر ، ونبت من مسقط الثور : الأنعام ، وسائر الحيوانات .

ولا تقف الأسطورة عند هذا الحد ، بل تزيد عليه أن النور خير الناس بين جواره أرواحا خالصة أو يحلوا فى الأجساد وينزلوا ليحاربوا أهرمن !

ولا يختارون جوار يزدان بل يطلبون المطلب الآخر وهو الحلول فى الأجساد ومحاربة « أهرمن » ممثل الشر ويضعون لذلك شرطًا على النور وهو مناصرته لهم ، ومكافئته لهم بحسن العاقبة ، وعند إذ يهلك أهرمن وجنوده وتقوم القيامة ، ليمتزجوا بالنور ويحدث لهم الخلاص !

* * *

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ١ / ٢٧٩ .

٢- الزروانيـة

تعددت المقالات وكثرت عند أصحاب هذه الفرقة من المجوس .

أبدع النور أشخاصاً كلها نورنية ، وروحانية وربانية ، وكان أعظمها شخص يدعى زروان شك فى شئ من الأشياء ، فحدث أهرمن الشيطان ، يعنى إبليس من ذلك الشك .

وتفنن الزروانية فى مقالاتهم لبيان كيفية خروج إبليس والشر إلى العالم ، ويطلق الشهرستانى على هذه الخرفات قائلاً : (ولست أظن عاقلاً يعتقد هذا الرأى القائل ، ويرى هذا الاعتقاد المضمحل الباطل . ومن عرف الله سبحانه وتعالى بجلاله وكبريائه ، لم يسمح بهذه الترهات عقله ولم يسمع مثل هذه الترهات سمعه)[١] .

ويذكر لنا الشهرستانى فرقة أخرى فى ثنايا حديثة عن الزروانية وهم « المسخية » ، وهى التى فسرت كيف خلق الشر والظلام فقد انمسخ بعض النور فصار ظلمة أما « الخرمدينية » : (قالوا بأصلين ،ولهم ميل إلى التناسخ والحلول ، وهم لا يقولون بأحكام وحلال وحرام ، ولقد كان فى كل أمة من الأمم قوم مثل الإباحية ، والمزدكية ، والزنادقة ، والقرامطة ، كان تشويش ذلك الدين منهم ، وفتنة الناس مقصورة عليهم)[٢] .

٣- الزرادشتية

ثم ذكر الشهرستانى الزردشتية وهى ديانة مجوسية ، يغلب على صاحبها أنه نبى ، كما قلنا من قبل ، وتحدث عن عقيدته ، وكتابه « زندفستا » ومعجزاته .

* * *

(١) المصدر السابق ١ / ٢٨٠ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٨١ .

نقد أبى بكر الباقلانى لعقائد الثنوية

يعد الباقلانى من علماء المسلمين الذين تناولوا عقيدة الثنوية بالنقد والتحليل ضمن ما تعرض له من ملل ونحل فى كتابه التمهيد .

وترجع أهمية نقد الباقلانى الذى توفى سنة ٤٠٣ هـ من القرن الخامس الهجرى إلى أنه جاء فى حلقة وسط سبقه فيها من علماء المسلمين من تعرض بالنقد للملل والنحل وواجه العقائد الشرقية مواجهة عنيفة فخبر حقائقها وخفاياها وأعد فى ذلك الرسائل القصيرة والكتب المطولة ومن هؤلاء أبى القاسم بن إبراهيم المتوفى سنة ٢٤٦ هـ من القرن الثالث الهجرى ، فكيف نقد الباقلانى أهل التثنية وما الأسس التى قام عليها نقده ؟ هو ما سنراه فيما يلى .

يصدر الباقلانى حديثه بقوله : (باب الكلام على أهل التثنية القائلين بأن العالم من أصلين أحدهما نور والآخر ظلام لم يزالا متباينين ثم امتزج منهما جزآن وأن النور خيرٌ حكيم بطبعه ، وأن الظلام شرير سفيه بطبعه)[١] .

وقبل تناول فكر الباقلانى النقدى للثنوية يجدر الإشارة إلى ملحوظة طالما ذكرناها وهى أن الثنوية قالوا بقدم النور والظلمة وأزليتهما بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام ، وذكروا سبب حدوثه ، إلا أن الثنوية مع قولهم بتساوى النور والظلمة فى القدم يقررون اختلافهما فى الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح .

حرر الباقلانى حقيقة الرؤية الإسلامية بالنسبة للإثنينية ، فالإسلاميون لا ينكرون وجود النور والظلمة من جملة ما هو موجود فى العالم ، أما أنهما قديمان أو فاعلان بالطبع أو بالاختيار ، أو أن يكون خلق الأجسام من نور وظلمة فى شئ ، فذلك غير حقيقى .

رد أيضا الباقلانى على فكرة أن الأجسام ليست بنور ولا ظلمة لخاصية لابد أن تتوفر فى الأجسام ، وليست بالنور والظلمة ، كما أن الخلاف بين النور والظلمة هو من أهم أسباب كونهما ليسا جسمين ، عمومًا النور والظلمة من الأعراض التى

---

(١) انظر الباقلانى : التمهيد ، ص ٧٨ .

توجد فى بعض العالم وليس فى كله ، كما أن النور والظلمة يظهران بالأجسام لا من غيرهما .

أما الدليل على حدوث النور والظلمة هو ظهور النور فى حال اختفاء الظلمة والعكس صحيح ، كما أنه لا توجد حركة وسكون فى وقت واحد وتلاشى أحدهما عند ظهور الآخر ، والمتضادات دليل على الحدوث والتجدد ، كما أن النور والظلمة لا يجوز عليهما الظهور والكمون ؛ لأنه من صفات الأجسام دون الأعراض .

أما استحالة كون النور والظلمة فاعلين بالطباع ولا بالاختيار ، وذلك لأن الفاعل حى قادر مختار . ويستحيل كون الأعراض فاعلة لاستحالة قبول الأعراض للأعراض وإلا قلنا بفعل الموات والمحكم من التصاوير والثياب !

وعلل أهل التثنية قولهم بأصلين قديمين هما النور والظلمة ؛ أن الأشياء أو الأجسام لا تنفك عن كونها شفافة أوكثيفة خفيفة أو ثقيلة لها ظل أو ليس لها ظل .

ثم ينقد الباقلانى قاعدة الحكم على الغائب عن طريق قياسه بالشاهد ، وكونها لا تصدق على الغائب دائما لعدم إدراكنا كنه الغيب وماهيته !

كما أن اختلاف طبيعة كل من النور والظلمة لاختلاف حركتهما وحركة جزئياتهما مما يدل على أنهما حادثتان يمكن أن يجرى عليهما ما يجرى على الأجسام من توقف أو صعود أو هبوط أو شوق للمركز ، وفى هذا أيضا دلالة على التماثل والتجانس واتفاق طباعهما .

ويلاحظ اتفاق الباقلانى مع الفلاسفة القدماء ، فى قولهم بأن أصل العالم هو الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة ، ويسأل الثنوية لمَ قلتم بأن أصل العالم هوالنور والظلمة ، ولم تقولوا بما قالت به الأطباء وأصحاب الطبائع ؟!

وإذا كانت المخلوقات لا تخلو من نور وظلمة ، فإنها أيضا لا تخلو من الطبائع الأربع ، وبذلك تسقط نظرية النور والظلمة لوحدها .

كما يرد على أصحاب الطبائع بما قوبل الثنوية ، والحقيقة هو أن العالم مكون من أجناس كثيرة وليس فقط العناصر السابق ذكرها .

وبلغ الخلط والتضارب عند أهل الاثنين ، أن قالوا بأصل ثالث معادل بين النور والظلمة ، ليس بنور ولا ظلمة ، وهو منقوض عليهم من طرق ، منها : اختلاف الاثنين عندهم فكيف يجتمعا ؟!.. وإن كانا ـ مع تنافيهما ـ اجتمعا فلا يخلو اجتماعها من أن يكون من جنس النور والظلمة أو من غير أصلهما وهو محال !

مناقشة الباقلانى لمسألة تباين الأصلين وامتزاجهما :

يبدو التناقض والخلط واضحًا فى نظرية الثنوية ، حول الأصلين القديمين النور والظلمة وامتزاجهما ، وظهور حقيقة العالم والأشياء من هذا الامتزاج .

فكيف يمتزج متناقضان متباينان ؟!..

ثم هل هذا التناقض والتباين عند الامتزاج أبقى على طبيعة النور والظلمة وخصائص كل منهما ، أم جاء بإصل ثالث غيرهما ومساوٍ لهما فى نفس الوقت ؟!! وكيف يكون الشئ متحركًا وساكنًا ، أو تكون الدنيا دنيا وليست بدنيا فى الوقت نفسه ؟!!

أو أن يكون الشئ قديما وحديثا معًا ؟!

وأريد أن أنبه القارئ إلى أن مع هذا السقوط والتهافت لعقيدة الثنوية ، إلا أنها استمرت وعاشت إلى الآن ؛ لأن لها أصول اجتماعية وثقافية وصاحبتها أساطير وخرافات أو بمعنى آخر تراثًا زاخرًا بالعادات والتقاليد والطقوس حافظت على هذه العقيدة وأبقت عليها .

وجهت الثنوية كذلك برد على فكرة تمازج الأصلين ، بأن ذلك ينشأ منه أصل ثالث ، فكيف تكون ثنوية مع وجود ثلاثة أصول ؟!..

وهذا التمازج بين النور والظلمة يؤدى إلى تلاشى الاثنين ، بمعنى أو بآخر ، وبطلان القول بقدمهما ! وقد أشرنا من قبل إلى استحالة بقاء التباين مع تمازجهما ؛ لأنه يتناقض .

بقى للثنوية أن هذا التمازج والتباين محدث فى الأصلين القديمين ، وأدى بهم إلى أن ما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث .. أما إذا قالوا بانفاك الجهة

وأن التباين والتمازج ليسا بلا زمين لهما أكذبوا أنفسهم فى تباين الأصلين فى القدم !

كما أن فكرة تباين الأصلين وامتزاجهما تنتهى إلى لا غاية ، فلا امتزاج إلا وقبله تباين والعكس صحيح ولا أول لذلك ولا غاية ، وهذا ما يخالف القول بقدم العالم ، حيث أن كل تباين قبله امتزاج ، وكذلك كل امتزاج لا أول له ولا غاية !

ويبدو التناقض واضحًا بيِّنًا فى القول بحوادث لا أول لها ، لأن ذلك يعنى قدمهما ولاحادث إلا كان عن عدم ، فكيف توجد حوادث لا أول لها وليست من عدم ! . . إن ذلك من جنس المحال [1] .

* * *

(١) انظر الباقلانى : التمهيد من ص ٧٨ – ٨٤ .

obeikandl.com

الديصانيــة Disania

نبذة عن الديصانيـة:

نسبة إلى ديصان أو ابن ديصان (١٥٤ – ٢٢٢م) ، وكان سريانيا قدم من فارس إلى الرهاء ، وأخذ اسمه من نهر ديصان الذى يروى الرهاء ، واعتنق المسيحية إلا أنه قال بألهية النور والظلمة .

النور مختار يفعل باختياره ، وهو عالم قادر حساس ، ومنه تكون الحركة والحياة ، والظلام ميت جاهل عاجز جماد لا فعل له ولا تمييز ؛ ولكن النور خالط الظلام .

وانقسمت الديصانية فرقتين ، إحداهما تقول إن ذلك كان باختيار النور ، لكى يعيد الظلام نوراً ، ولكنه لما خالطه لم يستطع الخروج منه فصار يفعل الشر اضطراراً ، والأخرى تقول بل إن الظلام هو الذى احتال على النور وتشبث به ، ولن يتمكن النور من الخلاص إلا بعد زمان .

وأضاف هرمونيوس بن ديصان بعض تعاليم الأفلاطونية والرواقية إلى مذهب أبيه .

ويقول علماء تاريخ الأديان أن الديصانية مهدت لظهور المانوية ، وهى أكبر غنوص حارب الإسلام ، وتغلغلت بعض أفكارها إلى تعاليم بعض شيوخ الإمامية كما عند هشام بن الحكم ، وبعض شيوخ المعتزلة كما عند النظام .

وتواجد الديصانية قديمًا بالبطائح وبالعين وخراسان فى قبائل وجماعات فلم تكن لهم دولة أو قوة كبيرة أبداً ومن كتب ابن ديصان ، كتاب النور والظلمة ، وكتاب روحانية الحق ، وكتاب المتحرك والجماد ، وله كتب كثيرة ، ولرؤساء المذهب فى ذلك أيضا كتبًا .

وتعرض الباقلانى لعقيدة الديصانية بالنقد فالديصانية تقول بأن الظلام موات وشر بعكس النور، فكيف يكون الظلام موات موات ويفعل ؟!

عمومًا النور حى بذاته .. والظلام ليس حيًا ولكنه قديم كالنور .

ويجرى على جميع الثنوية جميعًا ما نقدهم به الباقلانى وهو طالما أن النور

والظلمة يمتزجان فلم لا يصير النور ظلمة ، والظلمة نور ؟!.. وهو نقد وجيه يسقط أهم أركان الثنوية .

ولم يخل نقد الباقلانى من طرافة ، من ذلك إن قال شخص أنا ظلام فهل هو نور أم ظلام ؟ فإن كان ما قاله صدقًا كان نورًا ، وإن كان ما قاله كذبًا فهذا يعنى أن النور يكذب !

ومن هنا يصح أن يأتى النور ظلمًا وجورًا ، وإيلامًا بالإضافة إلى ما يأتيه من نور وعدل ولذة !

والعكس صحيح ، وهو ما يعنى التناقض والتخالف وهو محال .

ولا وجه لموقف الثنوية فالواقع يشهد لجواز أن يقع العدل والجور من جوهر واحد مع اختلافهما لقد وجد الثنوية صعوبة فى أن يصدر الخير والشر والنور والظلام والعدل والجور والتذكر والنسيان من مصدر واحد هو لهما فاعل ، وعنى ذلك عندهم تناقض أوقعهم فى تناقض أكبر لازم لهم [1] ..

* * *

(١) انظر الباقلانى : المصدر السابق ٢٨٥ – ٨٧ .

كيف حدث الشيطان ؟ يقول المجوس إن الله شك فى صلاته فحدث من فكر الله تعالى أو من عقوبة عاقب الله بها .

لا يجد المجوس بأس فى أن الله يشك أو يفكر أو يعاقب عن طريق إحداث الشيطان ، أو فيحدث الشيطان .

والحقيقة يستحيل الفكر أو الشك على القديم ، لاستحالة النقص على ذاته أوالحدوث كالموت والغفلة والنوم وكذلك جميع الآفات .

وكيف يحدث ذلك من الله وهو ما يعارض العلم أو وقوع الأفعال المحكمة الدالة على العلم والقصد منه [١] .

يعتقد المجوس أن الشك والفكر حدث فى ذات الله ، ولم يكن شيئًا أصيلاً فى القدم ، ولو كان الأمر على ما تصوروه فما الذى يمنع من أن تكون الحياة والموت والقدرة والعجز من الأشياء التى حدثت فى ذاته ولم تكن قديمة !!

ولأن الباقلانى أشعرى المذهب ينكر التوليد ، فقد أحال حدوث الشيطان فعلاً لله على سبيل العقوبة ، فقال لو جاز ذلك (لكانت فعلاً وعرضًا من الأعراض ومحال وقوع شخص الشيطان أو غيره من العرض على سبيل الابتداءِ للفعل والتوليد ، كما يستحيل حدوث سائر الأشخاص من الأعراض على هذه السبيل) [٢] .

كما أن هذه الأشياء الشريرة الرديئة التى فكر فيها الله لا يمكن أن تكون قديمة وإلا تعدد القدماء أو اتهم الله بالجهل على قولهم – عز عن ذلك .

والمجوس يقولون بحدوث الشيطان ، وقولهم بأن الشك والفكر والعقوبة قديمة يؤدى إلى القول بقدم الشيطان هو الآخر .

---

(١) انظر الباقلانى : المصدر السابق ٨٩ وما بعدها .

(٢) الباقلانى : المصدر السابق ، ص ٨٩ .

وقد يلجأ المجوس إلى القول بأن الشك والفكر حدثت لا من محدث ، وهذا يلزمهم بأن هناك كثير من الأشياء حدثت لا من محدث ، وهو قول الدهرية وفى ذلك تعطيل وإبطال للصانع .

وآخر ما ينتظر المجوس قولهم بأن الشيطان هو الذى أحدث ذلك الفكر أو الشك الشرير ؛ لأنه لم يكن قد وجد بعد !

وإن كانت الفكرة التى احدثها الله وصدر منها الشيطان خيرة ، فهذا يعنى أن الخير يمكن أن يصدر عنه شر ، وهذا غاية التناقض والإحالة .

وإذا جاز عند المجوس أن يفكر الله ويشك ويوجد الشيطان ، وهو فعل شرير فما المانع من إيجاده سائر المخلوقات الشريرة كالعقارب والحيات والسِّباع ، وكذلك الأفعال الشريرة كالهموم والأحزان !

أما الفريق الآخر من المجوس الذين قالوا بأن الشيطان وجد من عقوبة الله للعاصى الذي عصاه ، فهو مردود عليهم بأن الله كان حكيما عندما خلق العاصى الذى عصاه ، فما الذى يمنع حكمة الله إذا خلق الشيطان ابتداء ، وكذلك خلق الشرور لحكمة وعلم هو يعمله .

وكل مقولات المجوس تنتهى إلى أن الشيطان محدث والذى أحدثه الله ، والمشكلة فى عقيدتهم هو جعلهم الشيطان خالق لسائر الشرور ، فهو إله الشر والظلام والخراب وسائر الأفعال الرديئة . ولم يجز فى عقولهم أن الله الذى خلق الشيطان من فكره أو بأى شكل قالوه أن يخلق الشيطان وفعله وسائر الشرور لحكمة يعلمها !

والمجوس فى الحقيقة ثنوية يقولون بقدم الله الذى هو نور ، وحدوث الشيطان الذى هو ظلام ، والله لا نور ولا ظلام فخاب الجميع فى ظنه ﴿ **وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩)** ﴾ [١] .

وفكرة أن الله النور لم يخلق الشيطان خلقًا مباشرًا أو الشرور والآفات مسيطرة على المجوس والثنوية جميعًا ، وكما رد على الثنوية رد على المجوس ، فلو قال أحدهم : أنا

---

(١) سورة سبأ : الاية ٤٩ .

من خلق الشيطان فهو إما صادق أو كاذب ، فلو كان صادقًا عنى ذلك أن الشيطان يخلق الخير كما يخلق الشر ، ولو كان كاذبًا عنى ذلك أن الله يخلق الشر كما يخلق الخير !!

وهكذا فعقيدة المجوس متهالكة من كل سبيل ، وردها الباقلانى وكذلك علماء الإسلام من جهات عديدة أبانت عن ضعفها وتهافتها [1] .

* * *

(١) انظر الباقلانى : التمهيد ، ص ٩٢ .

obeikandl.com

obeikandl.com

يبدأ ابن حزم فيبين أنه كما أن اليهود وبعض النصارى وافقوا المسلمين فى الإقرار بالتوحيد وكذلك وافقوا المسلمين فى النبوة وآيات الأنبياء والكتب المنزلة من عند الله ، «إلا أنهم فارقونا فى بعض الأنبياء ، عليهم السلام ، دون بعض . وكذلك وافقنا الصائبة والمجوس على الإقرار ببعض الأنبياء دون بعض» (١) .

فابن حزم يعتقد أن المجوسية والصائبة ديانة منزلة سماوية ولها أنبياء ويشاركون ملة الإسلام فى النبوة وإن خالفوهم فى التوحيد ، وإن كنت أعتقد أنها كانت فى البدء توحيدية ثم انحرفت عن مسارها المنزل من السماء .

ويرد ابن حزم على المجوس فى انكار بعض الأنبياء والإيمان ببعض ، فيقول هم كالنصارى واليهود فى الإيمان ببعض والكفر ببعض سواء بسواء ! (٢) .

ضياع كتاب المجوس المنزل :

وضح ابن حزم فى كتابه «الفصل» . حقيقة ما حدث لكتب وأسفار المجوس المنزلة فقال : «وأما المجوس فإنهم معترفون بأن كتابهم الذى فيه دينهم أحرقه **«الاسكندر»** ، إذ قتل **«دارا بن دارا»** ، وأنه ذهب منه الثلثان وأكثر ، وأنه لم يبق منه إلا أقل من الثلث ، وأن الشرائع كانت فيما ذهب» .

وعلى أثر ضياع الشرائع بطل العمل بهذه الديانة فالله لا يطالب أحداً بشرائع لم تبلغه ولم يحفظها له حتى تصله .

ويبين ابن حزم أن الفساد والخرافات قد طالت أسفار المجوس بطرق عديدة منها ضياع معظمها – كما أشرنا – أو بتحريف رجال الدين لبعضها ، ومن أعجب ما ذكره ابن حزم هو عقيدة الرجعة عندهم ، فسيعود نبىٌ لهم ملكهم وينصرهم «فإذا ظهر **«بهرام هماوند»** على البقرة ليرد ملكهم نزلت تلك المدينة إلى الأرض ، ونصروه وردوا دينهم وملكهم» (٣) .

---

(١) ابن حزم: الفصل فى الملل والنحل جـ ١ / ١٧٧ .

(٢) ابن حزم : الفصل جـ١ / ١٩٩ .

(٣) ابن حزم : السابق ١ / ١٩٩ .

وكذلك قال النصارى برجعة عيسى ، عليه السلام ! ويضع ابن حزم نقداً في النظر إلى الكتب المنزلة قائلاً : « كل كتاب دُوّن فيه الكذب فهو باطل موضوع ليس من عند الله ، عز وجل ، فظهر من فساد دين المجوس كالذى ظهر من فساد دين اليهود والنصارى سواء بسواء »[1] . وهو أشبه بمعيار أو مقياس علمى به يفرق بين ما هو سماوى وما بطلت حقيقة سماويته عند تحريف أصحابه له وتغييرهم لآياته .

* * *

(١) المصدر السابق ١ / ٢٠٠ .

obeikandl.com

تصحيح ابن حزم لخطأ المتكلمين

صنف المتكلمون المجوس ضمن القائلين بتعدد فاعل العالم ومدبره ، وضمن القائلين بتدبير الكواكب السبعة وأزليتها .

وصح عنهم المقالة الأولى ، وقال ابن حزم إن القول بأن الكواكب هى المدبرة هو مما يخص الصابئة .

ومن فرق المجوس التى ذكرها ابن حزم المزدكية « وهم القائلون بالمساواة فى المكاسب والنساء » وهو يبدو شيوعية بدائية .. جاءت كرد فعل لتفشى الظلم الاجتماعى .

كما أشار إلى أن المزدكية كان لها تأثير كبير على الاسماعيلية عن طريق الخرمية أصحاب بابك الخرمى (وهم سر مذهب الإسماعيلية ومن كان على قول القرامطة وبنى عبيد وعنصرهم » [1] . وإذًا كان للشيعة الباطنية أسلاف قدماء أخذوا عنهم فكرهم ، وحقيقة شوَّه كثير من مؤرخى الأديان الفكر الباطنى عند عرضه ، وهو وإن كان ضالاً فى انحرافه عن عقيدة الإسلامى ، فلا يخلو من الجدَّة والثورة الاجتماعية على أصحاب النفوذ والسلطان من بعض النواحى .

كما ذكر ابن حزم المانوية فى تصنيفه للفرق ويصحح خطأ آخر هو الاعتقاد بأن « ديصان » كان تلميذاً لمانى . « وهذا خطأ بل كان أقدم من « مانى » .لأن « مانى » ذكره فى كتبه ورد عليه وهما متفقان.. إلا أن الظلمة عند « مانى » حية . وقال « ديصان » : هى موات » [2] . ويشتركان فى أصل العقيدة وغايتها .

ويؤصل ابن حزم للقاعدة التى جعلته يشتغل بالعقائد لا بالشرائع ، فإذا بان فساد العقائد لم يجب العمل بالشرائع ، لأنه بفساد العقائد والخرفات المضافة إلى الأوائل فى وصفهم الفاعلين ، وكيفية أفعالهم تفسد شرائعهم ، لأنه لا تكون صفة إلا لموصوف فإذا بطل الموصوف بطلت الصفة التى وصفوه بها .

* * *

---

(١) ابن حزم : المصدر السابق جـ ١ ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) ابن حزم : المصدر السابق ١ / ٩٠ ، ٩١ . .

obeikandl.com

ابن حزم يرد على حجج القائلين بأن الفاعل أكثر من واحد

يظهر من مناقشة ابن حزم لهم جميعًا قدرته الفعلية على التصنيف والترتيب وحسن إيراد الأدلة فجعل : المانوية والديصانية والمجوس والصائبة والمزدكية ومن ذهب مذهبهم فى مجموعة ثم ذكر استدلالهم – قالوا : « وجدنا الحكيم لا يفعل الشر ، ولا يخلق خلقًا ثم يسلط عليه غيره ، وهذا عيب فى المعهود . ووجدنا العالم كله ينقسم قسمين ، كل قسم منهما ضد الآخر كالخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والحياة والموت ، والصدق والكذب ، فعلمنا أن الحكيم لا يفعل إلا الخير ، وما يليق فعله به ، وعلمنا أن الشرور لها فاعل وهو شر مثلها »[1] . إذًا كان الدافع عندهم جميعًا أخلاقيًا ، فنسبوا الفعل الأخلاقى بعد تقسيمه إلى اثنين خيراً وشراً إلى إلهين .

وسنرجئ ذكر الصنف الثانى إلى حين ذكر رد ابن حزم على هؤلاء .

١- الحكيم لا يفعل الشر ولا العبث :

قال لهم الشر إما يعرف عن طريق السمع أو عن طريق العقل ، فإن ما عرف سمعًا فهو مجرد اسم سماه الله به وهو الذى خلقه وأبدعه ، إذ لم يصر الأمر شراً إلا لإخباره بأنه شر .

وعند سؤالهم كيف يفعل هو شيئا قد أخبر أنه شر ؟! يدخل بنا مدخلاً آخر ابن حزم حيث يرجع بنا إلى تحليل مفهوم الشر من حيث كونه فعل والفعل لا يخلو من حركة وسكون فى المكان ، فإن نهى المبدع عن بعض الحركة والسكون ، فهو منهى عنه فى حقنا نحن ، ونحن إذا تحركنا بحركة نهينا عنها أو سكنا بسكون نهينا عنه فهذا هو الشر ولا شر غيره ، أما الله فليس من جنس الحركة والسكون فى شئ ليكون فعله بعضه شر وبعض خير .

كما أن الاعتقاد النفسى غير موصوف به تعالى . أما اتجاههم الآخر ، وهو أن الله

---

(١) انظر الفصل فى الملل والنحل جـ ١ / ٩٣ – ١٠٨ .

لا يفعل الشر عقلاً ، فالعقل حقيقة أحد قوى النفس وما يجرى على النفس هو أيضا يجرى على العقل ، والعقل محكوم بالزمان والمكان وعالم الشهادة والمرئيات ومجموعة من الخصائص والأخرى التى لا يدرك ما وراءها ، وفعل الله سابق على العقل وفوق العقل ، يعنى يصعب الحكم على الله بالعقل فقط حكمًا نهائيًا لا رد له ، وإلا كان العقل محدثًا للأشياء أو مبدعًا لها أو على الأقل مشاركًا فى صنعها ، والله مستقل بفعل الأشياء ولا ينفعل بالعقل ، واحد أحد منزه عن التأثر بالعقل أو بغيره .

والله لا يشبه أحدًا من خلقه لا حكمًا ولا اسمًا (ولولا البارئ تعالى ماكان شئ فى العالم حقًا ، وما دونه فإنما حق بالإضافة) .

كما أن عقيدة التثنية عند المجوس مردودة عليهم بأن فاعل الشر بفعله عابثا، وليس لديه قدرة على التغيير ، أما فاعل الخير فهو يستطيع تغيير الشر أو منعه ، وهو بذلك إله فإن عجز عن ذلك فهو ضعيف أو عابث ، وجل الله عن ذلك .

٢- المانوية وفكرة التناهى بين النور والظلمة :

أدى القول بتباين النور والظلمة عند الثنوية إلى ظهور فكرة التناهى ، وهى أنه عند التقاء النور والظلمة فى جهة من الجهات فالتناهى يكون فى كل الجهات الخمس عدا هذه الجهة .

وهذه الفكرة تصطدم بحقيقة أن الأجسام متناهية ، كما أنه ليس هناك جهة علو وسفل ، وإنما يكونا بالإضافة إلى شئ فكل علو سفل لما فوقه ...وهكذا ، وكل سفل فهو علو لما تحته حتى تنتهى إلى المركز .. وبذلك يكون فى الظلمة علواً وفى النور سفلاً .

حتى فكرة اللذة والألم مردود عليهم فيها ، لأنها معيارية فما يلتذ به الإنسان ويتألم ، قد لا يلتذ به الحيوان أو يتألم .

ويبدو تضارب الفكر الثنوى عندما يقول بأن النور والظلمة مخلوق فى جسد

واحد ، فلأى إله تنتمى الأفعال ، للنور أم للظلمة ؟! . . وإن كان الخير والشر طبعًا فى النور والظلمة ، فعلام تعظ أحدهم بأن يفعل الخير ويترك الشر ، فإن كان فاعل الخير هو النور ففعله طبع فيه ، وكذلك الشر !

وأيما يكن فالأمر ينتهى إلى الخلط والهواجس والظنون .

وتتجاوز فكرة النور والظلمة الأشخاص العادية إلى الأشخاص المقدسة كالمسيح ومانى وزرادشت فلمَ تأتى المعجزات من هؤلاء رغم ما خالطهم من ظلمة ؟ ولا تأتى منكم ؟!

وإذا كان الشر والظلمة سينمحى بترك النكاح وعدم التناسل فما الحيلة فى المخلوقات الأخرى ؟!

وبذلك أمّنَ الفساد والشر نفسه ، وضمن بقاءه فى هذا العالم بعيداً عن فكر الثنوية !

٣- الرد على من قال بالكواكب أو الطبائع الأربعة [١] :

بعد رد ابن حزم على الثنوية ومن شابههم ، قرر أن الله واحد أحد حكيم يفعل ما يشاء لا لعلة ، ولا يعجزه فعل شئ اتفق أم اختلف ، أما ما كان متناه محدث ففعله محدود باتجاه واحد ؛ لأن طبعه واحد ويحكمه ، كالنار لا تفعل إلا الإحراق مثلاً .

ويرد على الثنوية بفكرة تناهى الأصلين أيضا ؛ لأنهما جسمان والله لا يتناهى .

فلا يعقل أن يكون ما هو فى زمان ومكان وذو عدد ويتناهى إلهًا !

ويبدو أن جميع الديانات التى خرجت من الشرق تفتقر إلى العقل والحكمة ، فعجزها إلى النسق العقلى صارخ وواضح ، والدلائل والبراهين العقلية التى يقدمها ابن حزم لازمة للجميع ، وشاهدة بتهافت عقائدهم جميعًا .

ويستخدم ابن حزم المنطق فيحدثنا عن الفصل والجنس والنوع والعدد والمحمول

---

(١) ابن حزم : الفصل ١٠١ وما بعدها .

والحامل فى الدلالة على أن خالق العالم واحد ، وكذلك يستعين بدليل التمانع فى إثبات الوحدانية عند المتكلمين وهو مشهور .

وهكذا نجدْ قد ابلى بلاء حسنًا فى نقد عقائد الهنود والفرس جميعًا كما فعل غيره من الإسلاميين ، ويبدو إلى زمن ابن حزم كان لهذه العقائد صدى وأثر فى الأوساط الإسلامية ولم يزل للآن .

* * *

obeikandl.com

ذكر ابن النديم فى الفهرست
لـ (مذاهب المنائية)

ذكر ابن النديم طرفًا من سيرة مانى ونشأته ونبوته .. ويلاحظ على ما ذكر إبرازه لعدة أشياء يرددها العامة فى حق كل نبى من الأنبياء .. فقد هتف بأبيه هاتف من هيكل الغور ، قائلاً (لاتأكل لحمًا ولا تشرب خمرًا ولا تنكح بشرًا) أى تحنث وتعبد من أجل الطفل الذى سترزق به ، كما أن أمه كانت ترى المنامات الحسنة . وقد قيل عند البشارة بكثر من الأنبياء مثل هذا الكلام .

أما مانى نفسه فقد كان يتكلم بالحكمة فى صغره ، وجاءه فى الثانية عشرة من عمره الملك / الوحى القرين = التوم بالنبطة ، وأجل نبوته إلى أن يبلغ ويرشد فى الرابعة والعشرين من عمره [1] . وقد وصف كثر من الأنبياء بهذه الأوصاف وبعثوا فى هذه السن .

الكلام الذى قال له القوم / الوحى / الملك

وتلقى مانى الوحى ، وبشر بالرسالة ، ودخل مع أصحابه على الملوك فهابوه وأعزُّوه ، وزعم أنه الفارقليط / المبشر به ، من عيسى ، عليه السلام . وألف دينه كمزيج من المجوسية والنصرانية . فقال بالفداء والغفران والرجعة وأبوة الله له ، والصلب .

وخلف اتباعه فى كل بلد يدخلها فانتشرت دعوته فى الهند والصين وأهل خراسان [2] .

[ذكر ما جاء به مانى
وقوله فى صفة القديم ، تبارك وتعالى ،
وبناء العالم والحروب التى كانت
بين النور والظلمة]

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٣٩٢ .

(٢) الفهرست : المصدر السابق ص ٣٩٢ .

ورد ذلك العنوان بالفهرست لابن النديم وجاء تحته الحديث عن النور والظلمة ، من نص كلام مانى نفسه وهو بيان لعمل هذين الإلهين فى الكون ومناطق النفوذ لكليهما والسيطرة ، وكيف ستدور حرب طاحنة بينهما ينتصر فى آخره النور وجنوده وأعوانه من البشر على الظلمة والشياطين ومن آذرها فى هذا العالم ، إلا أنه بعد هذا النصر والتخلص من العدو ، نجد ابن النديم يذكر لفرقة من فرق المانوية مقالة فى غاية الغرابة تدل على فساد المذهب وهى « الماسية » حيث زعمت (أن النور يبقى منه شئ فى الظلمة) [1] مسجوناً فى السجن الأبدى !! أى أنها تقر بسجن بعض النور أى الخير مع الظلام ، ويعنى أيضا امتزاج النور بها وهو ما ينكره المذهب ، وسماح النور لبعض أجزائه أن تعذب أبداً !

ويعزز ذلك ما قال مانى « فلما شابك إبليس القديم بالإنسان القديم بالمحاربة ، اختلط من أجزاء النور الخمسة بأجزاء الظلمة الخمسة ، فخالط الدخان النسيم ، فمنها هذا النسيم الممزوج) [2] ! ولا أدرى لمَ صنف بعض المؤرخين مانى فى الأنبياء وكلامه لا يدل على عقيدة التوحيد بنقائها أو قريب منها ؟!

ابتداء التناسل على مذهب مانى :

تأتى قصة الخلق وكيف تناسلوا من آدم عند مانى فى غاية التشويه ، خلطت بالأساطير خلطاً ، فصارت أقرب إلى روح الأسطورة اليونانية منه بما نزل فى التوراة ، وهو دليل على تأثره بالفلسفة الإغريقية القديمة بالإضافة إلى اليهودية بأسفارها .

فالتزواج يحدث بين أتباع إله الخير بما نمى فيهم من صفات الشر . . وهذا غريب ! ليخرج الإنسان الأول ، ثم يحدث تزاوج آخر تأتى منه حواء ، ثم تسأل الملائكة الرب الخلاص لهذا المخلوق المنتمى للإنسان القديم ، فيرسل عيسى ، عليه السلام . . وعند عيسى نتوقف عند فكرة الصلب والفداء فهى أبرز ما تأثر به مانى .

وفى جو تشيع فيه روح الاسطورة . والمؤامرة بين أبناء آدم ، ينتصر الشر فى الجولة

---

(١) الفهرست : ٣٩٤ .

(٢) السابق : ٣٩٣ .

الأولى على الخير بمقتل الأخ الطيب على يد أخيه الشرير فيعاود آدم التزاوج من حواء فينجب طفلاً ينجو به ويخرج إلى الصحراء ليأكل من لبن الأشجار !.. وفى هذا إشارة إلى قصة قابيل وهابيل والقربان وهى فى التوراة والقرآن .

ويحاول الصنديد الأعظم وأركنة الشر استعادة آدم وطفله إلى مملكة الشر ؛ ولكن الطفل يكبر ويفر هو وأبيه إلى مملكة الخير ، وكذلك من لحقه الخلاص من ذريته ، فيدخلون الجنة . أما حواء وابنها القاتل والشهوة وابنة الحرص وهى إحدى خصال الشر ، فيدخلون النار .

لاشك ان هذه القصة تشويه حقيقى لما ورد بالكتاب المقدس على يد مانى استحالت فيه إلى شئ آخر غير ما أنزل الله ، فهل كان مدفوعًا لذلك ؟! أم أن الأمر لم يكن أكثر من إبداع لعقيدة من بنات أفكاره .. [1] ومع ذلك نجد الجانب الأخلاقى بارزًا فيها .

التاريخ لا يحدثنا عن تآمر على دين عيسى ، والنصارى لا يذكرون شيئًا فى هذا الصدد ، إذ إن النصرانية عانت العديد من المشاكل والمؤامرات على يد اليهود ، وكذلك الرومان وملوكهم وأصحاب الديانات الأخرى ، ولم يكن التثليث فى النهاية إلا أحد هذه المؤامرات المحكمة ، التى قضت على التوحيد قضاء مبرمًا ، وأحالت النصرانية بدورها إلى حلقة من الخرافات المتعاقبة . اختطلت فيه الديانة السماوية بالفلسفة والخرافات الأرضية .

فهل فعل مانى ما فعله النصارى الأول بدينهم ؟ وهل قصد فعل ذلك ؟

أعتقد أن الأشياء لا تحدث تبعًا لقانون الصدفة ، ولا يوجد أمر يحدث عشوائيًا ، وما كان من مانى يمثل أحد صور التشويه المتعمد للنصرانية ، يشهد عليها ما نذكره فى هذه الرسالة من عقائد شديدة الشبه بما تذكره المذاهب النصرانية التى كان لها السيادة والبقاء .

* * *

(١) الفهرست : ٣٩٥ .

صفة أرض النور وجو النور وهما الاثنان اللذان كانا مع إله النور أزليين وصفة أرض الظلمة وحرها :

قسم مانى الأرض والفضاء بين إلهين ، فجعل أرض النور من نسيم وريح ونور وماء ونار ، وجوه من حلم وعلم وعقل وغيب وفطنة .

تقابل أرض الظلمة من أغوار أطباق وردم وغياض وأحراش ودخان .. إلى غير ذلك . وربما كان ذلك تقسيم مبكر لأصول الكائنات وتصنيف لها .

كيف ينبغى للإنسان أن يدخل فى الدين :

ورسم صورة لمن يريد أن يدخل دينه ، وهو أن يقمع الإنسان شهوات نفسه كلها من أكل وشرب ونكاح وشرب خمر ، ومسالمة الطبيعة من ماء ونار وأشجار ونبات ، فإن عجز الإنسان عن ذلك ، فعليه أن لا يدخل فى دينه ، وإن أحب دينه فعليه أن ينصر أصحابه على أعدائهم ، وأن يجعل لنفسه أوقاتًا يحرم عليها الشهوات والأفعال القبيحة ،ويتضرع إلى الله ويعمل البر والإحسان ، مما ينفعه فى الآخرة ، وتكون صورته هذه هى صورته فى المعاد [1] . وهذا أقرب ما يكون إلى الشريعة بما جاءت به من حلال وحرام ، لإصلاح أمور الإنسان اجتماعيًا وأخلاقيًا وغير ذلك .

الشريعة التى جاء بها مانى والفرائض التى فرضها :

شملت المانوية على جوانب عدة من العقائد والشرائع والأخلاق ؛ فمن ذلك :

الإيمان بالله ونوره وقوته وكلمته وهى العظائم الأربع ، وهذه الأربع يتبعها الإيمان بالله ملك جنان النور ، والنور المتمثل فى الشمس والقمر ، والأملاك الخمسة التى هى خلاصة قوة الله وهى النسيم والريح والنور والماء والنار أما حكمته فهى الدين المقدس ؛ وهذا هو جانب العقيدة عنده .

ويبنى هيكل الدين المقدس من المعلمين ، وأبناء الحلم ، والمستمعين ، وأبناء العلم : القسيسين ، وابناء العقل : الصديقين ، وابناء الغيب : السماعين وابناء

---

(١) الفهرست ص ٣٩٦ .

الفطنة؛ وهو أمر يشبه البناء التنظيمى للجماعة ، والذى يتم فيه توزيع الأدوار والمهام والأعمال .

ثم يأتى بعد ذلك الفرائض العشر وهى أخلاقية فى مجملها ، وهى فى باب النواهى الزواجر .

– ترك عبادة الأصنام ، وترك الكذب ، ترك البخل ، وترك القتل ، وترك الزنا ، وترك السرقة وتعليم العلل والسحر ، والقيام ، بهمتين وهو الشك فى الدين والاسترخاء والتوانى فى العمل .

وفرض عليهم عشر صلوات يسبقها اغتسال بالماء ، ويلاحظ على صومهم الوصال بين الأيام وتقديسهم بعضها كالأحد للعوام ، والاثنين للخواص [1] .

٥- اختلاف المانوية فى الإمامة بعد مانى :

كان من الطبيعى لرجل جاء بمثل هذه الخرافات والعقائد المفككة والناقصة والملفقة أن تنتهى حياته مقتولاً أبشع قتلة فصلبه (والصلب لا شك فيه) بهرام بن سابور بعدما طال حبسه فى سجن أبيه وجعله نصفين كل نصف على باب ؛ وكذلك صلب المسيح من قبل .

ومن استقراء ابن النديم لكتب مانى ورسائله المقدسة ، ينتهى إلى أن مانى كان « ينتقص سائر الأنبياء فى كتبه ، ويزرى عليهم ويرميهم بالكذب ! ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم ، بل يقول فى مواضع من كتبه أنهم شياطين !.. فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى ، فيزعم أنه شيطان !.. » [2] .

ويحدثنا ابن النديم عن كيفية تنصيب الولاة والأئمة عند المانوية فهى لا تتم إلا فى مكان معين وهو بابل ، وبطقوس مخصوصة يعرفونها وقد تأثر بذلك الباطنية فى بناء هيكلهم التنظيمي بدأ من الإمام والدعاة والأمناء وانتهاء بالقاعدة وهو يقوم على السرية التامة .

---

(١) الفهرست : ٣٩٧ .

(٢) الفهرست ٣٩٨ .

ولكن الأمر لم يدم طويلاً حتى انشق على هذه الطقوس بعضهم ، ثم انقسمت المانوية إلى قسمين فى العهد الإسلامى مهرية ، نسبة إلى رجل يدعى مهر وقد كان فى زمن حكم خالد القسرى للعراق فى عهد الوليد من عبد الملك . وقد تأثر بذلك الباطنية فى بناء هيكلهم التنظيمى بدأ من الأمناء وانتاء السرية التامة .

أما المقلاصية وهى الفرقة الثانية فترجع نشأتها إلى رجل ذى نفوذ ومال أراد أن يبايع له المانوية فى دورهم البعيدة فى بلاد ما وراء النهر ، وأعانه رجل يسمى زادهرمز على ذلك وتمت له البيعة عليهم . .

ثم تنقلت رئاستهم إلى عدة أشخاص منهم أبو سعيد بن رجا ، وأبو على سعيد فى عهد العباسيين حتى زمن المأمون .

ويبدو من ظهور المانوية فى المجتمع الإسلامى ، ومعرفة الكتاب بهم وكذلك العامة ، دلالة واضحة على تسامح المسلمين حكومات وأفراداً مع أصحاب الديانات الأخرى ، ومن لهم شبهة دين كالمانوية ، وفى ذلك رد على المشككين القائلين بتعصب المسلمين فى الصدر الأول ، أو المشككين فى رعاية دولة الإسلام للتعددية الدينية ، واختلاف العقائد والطوائف وإقامتهم فى دولة الإسلام وقربهم من الحكام والولاة بلا خوف وصحبتهم لهم ، فها هو خالد القسرى يحمل المهرى على بغلته وفى ذلك تقدير واحترام له ، ويقول ابن النديم (وكان رئيس المقالصة فى أيام المأمون والمستعصم أبو على سعيد ، ثم خلفه بعد ، كاتبه نصر بن هرمزد السمرقندى ، وكانوا يرخصون لأهل المذهب . والداخلين فيه أشياء محظورة فى الدين ، وكانوا يخالطون السلاطين ويؤاكلونهم) [1] .

* * *

(١) الفهرست : ٣٩٨ .

فـرق الثنويـة

وقد ذكر فرق الثنوية بتفصيل كبير الشرفى صاحب شرح الأساس فقال :

وأما الثنوية : فهى تسع :

١ - **مـانوية** : قائلة بألاهية النور والظلمة وحياتهما ، وقدرتهما ، وامتزاج العالم منهما ، وتعضاد طبعهما .

٢ - **ومزدكية** : إلا أنهم يجعلون النور مختاراً والظلمة بطبعها .

٣ - **وديصانية** : مثلهم إلا أنهم يجعلون الظلمة مواتًا عاجزة عكس النور .

٤- **ومرقـونيـة** : يثبتون ثالثًا بين النور والظلمة متوسطًا دون الله فى النور ، ودون الشيطان فى الطبع .

٥ - **وماهائية** : مثلهم فى النكاح والذبائح ، وجعلهم الثالث المسيح [١] .

٦ - **وكينانية** : زعموا أن الأشياء من أصول ثلاثة الماء والأرض والنار .

٧ - **حاميـة** : قيل إنهم من الصابئة ، وقيل من الدهرية .

٨ - **ومهراكية** : اختصوا بأن قالوا لابد فى كل زمان من رئيس يخلصهم من الأفات ويرشدهم إلى السداد .. وهم أقرب إلى المانوية .

٩ - **المجوس** : يقولون بقدم الشيطان مع الله ، وأنهما جسمان على اختلاف بينهم .

١٠- **والصـابئـون** : يقرون بالصانع وقدته ، فقائل هيولاه قديمة ، وقائل محدثة ، ويزعمون أن الفلك حى سميع بصير ، وكواكبه الملائكة وعبدوها .

١١- **والمنجمـة** : يزعمون قدم الفلك ولا صانع له .. [٢] .

ولم أجد فى كتب الفرق مثل هذا التفصيل ، وإن كان قد أخذه من كتاب « الشامل » ليحيى بن حمزة العلوى .

* * *

---

(١) وهذه الفرقة تقرب عقائدها من عقيدة مانى الذى يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، انظر الشهرستانى فى ٣ / ٦٤ .

(٢) الشرفى : شرح الأساس ، ص ٧٩ ، ٨١ ، من رسالة دكتوراة غير منشورة بدار العلوم للدكتور احمد عارف .

obeikandl.com

الزنادقة فى العصر العباسى

يصعب تعليل ظاهرة اهتمام المؤرخين بتسجيل الحروب الميدانية والمعارك السياسية أيضا غير اهتمامهم بالمعارك الجدلية أوالفكرية والنظرية بين المسلمين والزنادقة .

وهذا لا يعنى أن المعركة الجدلية وما ترتب عليها من تعدى وتحدى لهذه الظاهرة .. ولقد ظهر لفظ الزندقة على ألسنة الشعراء فى العصر العباسى بصورة شائعة قصدوا من ورائها معانٍ كثيرة .. فى حين نجد أن هذا اللفظ لم يكن شائعًا فى العصر الأموى وكان نادراً إطلاقه وربما عاد السبب فى ذلك أن الزندقة تعنى فى الشائع منها الشك والإلحاد فى الدين ، ولم يكن الناس كذلك فى العصر الأموى وعكسه كان فى العصر العباسى .. فقد غلبت الروح الدينية بطبيعتها النصية والنقلية فلا نجد جدالاً حول القرآن أو الحديث ، والذى ظهر بوضوح فى عهد العباسين حيث انتشر الجدل الكلامى والفلسفى بين المسلمين وغيرهم أو بين المسلمين أنفسهم حول مسائل العقيدة المختلفة .. كاختلافهم حول مسألة خلق القرآن مثلاً .

ولقد ساعدت روح الشعوبية فى العصر العباسى على ظهور المقاومة الفارسية للحكم العربى ، ثم المقاومة الدينية للدين الإسلامى أيضًا .. فلم يروا أن العهد الجديد بما فيه من سيادة العنصر الفارسى على غيره قد حققت مآربهم فى الحكم والتحول عن العرب ، فطمع الفرس فى الرجوع إلى أصولهم الدينية وثقافتهم ، فأخذوا على نشر المانوية والزرادشتية وكذلك المزدكية فى الظاهر إن أمكن لهم ذلك ، وهو فى الغالب فى المناطق النائية والبعيدة عن مراكز الحكم والقريبة من دولتهم القديمة ، أو خفية عند تعثر أحوالهم ووجود رقابة السلطة العباسية عليهم ..

لقد كان لهزيمة الأمويين أمام جيوش العباسيين من الفرس أثر واضح على ظهور الثقافة الفارسية وجرأة الموالى فى إعلان فكرهم وأديانهم وجدال المسلمين عليها .. والزندقة فى الدين لا السياسة .. ولقد لعب برؤوس الموالى الرغبة فى عودة أديانهم القديمة .

ومالبث أن تولى أبو جعفر المنصور خلافة الدولة العباسية حتى وجدنا نوعًا جديداً

من الزندقة أخذ فى الانتشار وهو المجانة ، فقد أخذ بعض الشعراء والمثقفين فى الانحلال الأخلاقى فشربون الخمور ودارت برؤوسهم الأهواء فتغزلوا بالنساء والغلمان على السواء . .

واستغل الخلفاء العباسيون فكرة الزندقة فى معاركهم السياسية ، فقد نجح المنصور فى إقصاء محمد بن أبى العباس السفاح ابن اخيه من الخلافة عن طريق إحاطته بالزنادقة والمجان من حوله وتنفير الناس وكراهيتهم له . . وتولية ابنه المهدى الذى كان يعتبر بغض وحرب الزنادقة قربى لله تعالى وإلى الناس أيضا .

وكان للمهدى دور بارز فى قمع حركة الزندقة والتنكيل بالزنادقة ، حتى إنه أنشأ إدارة للبحث الجنائى على رأسها رجلا سماه صاحب الزنادقة مهمته الأساسية تعقب الزنادقة والكشف عنهم ومعاقبتهم وكان اسمه «**عمر السلكواذى**» ، ووصف المسعودى المؤرخ الشهير ت ٥٨٤هـ المهدى ت ١٦٩هـ فقال : «إنه أمعن فى قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم فى أيامه ، وإعلانهم باعتقاداتهم فى خلافته لما انتشر من كتب مانى وابن ديصان ومرقيون ، مما نقله **عبد الله بن المقفع** وغيره وترجمه من الفارسية والفهلوية إلى العربية ، وما صنف فى ذلك ابن أبى الوجاء وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع ابن اياس من تأييد المذاهب المانوية والديصانية والمرقونية . فكثر بذلك الزنادقة ، وظهرت آراؤهم فى الناس وكان المهدى أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب (فى الرد) على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم ، وأقاموا البراهين على المعاندين وأ زالوا شبه الملحدين فأوضحوا الحق للشاكين [١] ويعلق أحمد أمين فى كتابه القيم ضحى الإسلام [٢] على هذه الفقرة فيقول : [إذن قام المهدى بعملين نحو الزنادقة ، إنشاء إدارة للبحث عنهم ومحاكمتهم ، وإنشاء هيئة علمية لمناظرتهم وتأليف الكتب للرد عليهم» .

فالمهدى كحاكم مسلم يعرف حجم المسئولية الملقاة عليه تجاه محاربة هذا العدو الزاحف على العالم الإسلامى ، ليفتت وحدته من الداخل وإشاعة الفتنة وتمزيق الخلافة فجمع بين الجهاد باللسان والسنان حتى يقوض هذه الفتنة . فهل نجح ؟!

---

(١) المسعودى ٢ / ٤٠١ .

(٢) احمد امين ١ / ١٥٩ .

اعتقد انه نجح إلى حد بعيد إلا أن الزمن لم يمهله ، فأوصى ابنه الهادى بتعقبهم وكشف حيلهم وألاعيبهم فى نشر دعوتهم وحمل الناس عليها ووصفهم فأجاد : (فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ، ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجاً وتحوباً ، ثم تخرجها من هذا إلى عبادة اثنين أحدهما النور ، والآخر الظلمة ، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات ، والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور .. فارفع فيها الخشب ، وجرد فيها السيف وتقرب بأمرها إلى الله لا شريك له ، فإنى رأيت جدّك العباس فى المنام قلدنى بسيفين ، وأمرنى بقتل أصحاب الاثنين .. » [1]

ومضى الهادى على نهج أبيه المهدى فتعقبهم ونكل بهم ، وتولى من بعده هارون الرشيد ت ١٩٧ هـ، فأمن كل فار ومستخف عدا الزنادقة ، فتوعدهم وتهددهم ، ويذكر المؤرخون أن من هؤلاء يونس بن فروة ، ويزيد بن الفيض ..

أما المأمون ت ٢١٨هـ فقد أعد للمانوية امتحاناً فمن أقر بردته أو دعوته للمانوية قتله ، ومن هؤلاء عشرة زنادقة كانوا بالبصرة يدعون للنور والظلمة فلما فشا أمرهم وبلغه خبرهم ، أمر فحملوا إليه ببغداد فلما حضروا أمامه دعاهم رجلا رجلا ثم سألهم عن دينهم فأخبروه جميعا أن دينهم الإسلام ، فامتحنهم بأن أظهر لهم صورة مانى وأمرهم بأن يتفلوا عليها ويتبرؤا منها ، كما أمرهم أن يذبحوا طائراً مقدساً عندهم ، فأبوا ذلك فقتلهم ..

وقد اشتد الأمر على الزنادقة من المانوية وغيرهم فى عهد المعتصم ت ٢٢٧ هـ ومن أبرز هذه الحوادث محاكمة الإفشين قائد جيوشه بتهمة الردة والزندقة والدعوة للمانوية والثنوية ، ومثل الإفشين أمام محمد بن عبد الملك الزيات ، وأحمد بن أبى دواد وشملت صحيفة الاتهام ما يلى :

١- عذب الإفشين إمام مسجد ومؤذناً حولا بيتاً للأصنام إلى مسجد .

٢- عثر فى بيته على كتاب للمانوية محلى بالذهب والجواهر .

---

(١) الطبرى : ١٠ / ٤٢ .

(٢) المسعودى ٢ / ٢٤٩ .

٣- لم يكن يأكل سوى المنخنقة ولا يأكل الذبائح .

٤- كانت تأتيه الخطابات والرسائل بافتتاحيات كفرية على طريقة الثنوية والمجوس من أمراء فارس . .

٥- تآمر أمراء الفرس على قلب دولة الإسلام ونصحهم بالصبر حتى يأتيهم النصير يعنى نفسه . ! . .

٦- ترك الختان وهو من الإسلام . .

وانتهت المحاكمة بحبسه حبسًا انفراديًا ، ومات صبرًا - منع عن الطعام والشراب - ثم صلب وأحرقت جثته . . وذكر الاستاذ أحمد أمين ما قاله التبريزى من أن ما حدث للإفشين كان بسبب حسد بعض الخاصة له وتآمرهم عليه من بطانة المعتصم ، وما جرى بينه وبين ابن أبى دواد . . وأنا بدورى أعتقد أنه لم يكن الأمر بينه وبين حساده يبلغ حد المحاكمة والقتل لولا أن زندقته كانت معلنة وفشا أمرها . .

* * *

- مفهوم الزندقة فى العصر العباسى :

وقد اختلف مفهوم الزندقة فى العصر العباسى بين الخاصة والعوام . .فقد ظهر الكثير من الشعراء المجان والفساق ، الذين أطلق الناس عليهم لفظ الزندقة ، لاستهتارهم بآداب الدين وعباداته ، كترك الصلاة أو الصوم أو شرب الخمر جهاراً أو فى نهار رمضان أو القدح فى بعض الأوامر الدينية تحت تأثير الخمر ، بدون قصد المعنى العلمى الحقيقى وهو الكفر بالله والإلحاد فى الدين ، ومن هؤلاء الشعراء إبراهيم ابن سيابة وآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز . . وآدم هذا قبض عليه المهدى وعاقبة عقابا شديداً على مجانته وأراد منه اعترافا بالزندقة والقدح فى الدين ، ولم يتركه حتى اطمئن لسلامة دينه . . ومن ثم اقسم آدم أن يترك الخمر ولا يقربها أبداً (١) .

وهكذا نجد أن شيوغ الزندقة بمعناها العلمى أدى بالحكام إلى معاقبة من حامت حوله مظنه المجون والزندقة من الحكام ، فآدم لم يكن زنديقا ولكنه كان متطرفًا ، وتحت وطأة امتحان المهدى له يعترف بمجونه ويقسم على براءته من الكفر والإلحاد ويهجر بعدها الخمر وحياة الفساق . وشعراء العصر العباسى شط بهم الهوى والمجون فتذندق كثير منهم من غير ما إلحاد - تطرفًا - ومنهم من تأول الدين بالسخرية والاستهزاء . . إلا من شذ عن ذلك وجاهر بالكفر كبشاربن برد الذى كان يقول :

لا خير فى العيش إن كنا كذا أبداً ... لا نلتقى وسبيل الملتقى نهجُ
قالوا : حرامٌ تلاقينا فقلت لهم : ... ما فى التلاقى ولا فى قبلة حرجُ !

فهو يستحل الزنا وينكر البعث والنشور والجزاء والحساب . .! وتدرج هذا الأمر من الزندقة حتى بلغ ذروته على يد أمثال بشار ، وأبو نواس الذى يرى حل الخمر وإنكار البعث فيقول راداً على من تعاتبه :

وملحة بالـلوم أننى ... بالجهل أوثرُ صحبة الشطار
بكرتْ علىّ تلومنى فأجبتها ... إنى لأعرف مذهب الأبراء
فدعى الملام فقد أطعتُ غوايتى ... وصرفتُ معرفتى إلى الإنكار

---

(١) ضحى الإسلام ١ / ١٦٥ . . وانظر الاغانى ١٤ / ٦٠ ، ٦١ .

ورأيتُ إتيــانى اللذاذة والهــوى | وتعــجــلا من طيب هذى الدار
أحــرى وأحـــزم من تنظر آجل | علمى به رجم من الأخــبــار
مــا جــاءنا أحــدٌ يخــبّرُ أنهُ | فى جنةٍ من مــات أو فى النارَ!

وهو يسخر أيضا من عقيدة القضاء والقدر والقائلين بالحرية الإنسانية وكذلك عقيدة الجبر فيقول .

يا ناظراً فى الدين ما الأمــر | لا قــدرٌ صــح ولا جــبرُ ؟
ما صحَّ عندى من جميع الذى | تذكــرُ الا المــوت والقــبر ..

كما أنه يصرح بانه سينكر شربه للخمر يوم القيامة ويكذب يوم الحساب .. ! فيقول :-

قلتُ والكأس على كــفّى | تهــوى لا لتــشــامى
أنا لا أعــرف ذاك اليــوم | فــى ذاك الــزحــام

أما كيف كان ينظر الناس إلى هذه الطبقة من المثقفين الذين يمكن أن نطلق عليهم الزنادقة الظرفاء فى العصر العباسى ..

فيقول أحمد أمين : [والذين كانوا يستمعون لهذا القول ؛ يختلفون فيما بينهم ، فطائفة تسخط لمثل هذا ، وتحكم على قائله بالإلحاد والخروج من الدين ، وطائفة لا ترى هذا جداًّ من القول ؛ وإنما هو نوع من أنواع التملح ، لم يُقل إلا على سبيل الفكاهة والمجون ، وعلى هذا الأساس الأخير شاع فى ذلك العصر وصف الزنديق بالظرف فأبو نواس يصف العباس بن الفضل بن الربيع فيقول :

نديمُ كــأسٍ مــحدِّثُ ملكٍ | تيــهُ مُغــنٍ وظــرفُ زنديــق [1]

(١) أحمد أمين جـ ١ / ١٦٧ ..والأغانى جزء ١٧ / ١٥ .

أما معنى الزندقة الذى كان يفهمه الخاصة فى العصر العباسى فهو أن يكون المرء مؤمنا فى الظاهر كافراً مانويا فى الباطن !

وكان المانوية والثنوية المجوس يؤمنون لأغراض وأهداف عديدة منها تحصيل الغنى والشهرة والمجد والمكانة الاجتماعية .

٢- أو إفساد العقيدة من الداخل انتقاماً من المسلمين ودولتهم ، بعد ايمانهم العميق بعجزهم من تخريبها من خارج واستسلام دولتهم وسقوطها .

٣- كما طرقوا باب العلم بالدين والآداب والفلسفة ، لينفثوا سمومهم فى خبث وخديعة دون أن يؤاخذوا . .

٤- ونظم المانوية صفوفهم فعملوا بطريقة فردية أو فى شكل جماعى . . ولذلك صعب القضاء عليهم تماماً .

٥- قبضت السلطة على العديد من هؤلاء الزنادقة الذين أفسدوا روح النص الدينى ، فوضعوا الكثير من الأحاديث على رسول الله ، ﷺ ، . . حتى يحكى عن أحدهم أنه وضع أربعة آلاف حديثا . . وامتد هذا الوضع إلى الرواية الشعرية فأفسد حماد الشعر بوضعه للكثير منه ، وكذلك صالح بن عبد القدوس ويونس بن أبى فروة الذين كانا يدسان عقيدة المانوية فى ثنايا الشعر ، أو يجردونه من مكارم الأخلاق ويذيعون فيه مثالب العرب ونواقصهم . . إذن كانت هذه الحرب قومية دينية فى آن واحد . .

وبدأ المثقفون فى هجاء بعضهم البعض ، وإعلان نقيصة كل واحد منهم على الملأ . فبشار مثلايتهم حماد عجرد أنه مانويا أكثر من مانى ، وأبو نواس يفضحه هو الآخر بأنه شيخ للزنادقة المانوية ، وعموماً نجد أن أشهر مشاهير هذا العصر من الشعراء زنادقة بالمعنى العام أو بالمعنى العلمى .

ويلاحظ أن أكثر هؤلاء المثقفين الزنادقة كانوا من الموالى الفرس أصحاب الديانات الثنوية ، ومع ذلك ظهرت الزندقة فى بعض العرب أيضا كنوع من المجون أو اتهموا بذلك كشرك سياسى يقعون فيه ! . .

- **الجاحظ يهاجم الزنادقة والمانوية :**

وقد تناول الجاحظ فى كتابه الشهير الحيوان وغيره الزنادقة فى عصره مبينًا نشأة الزندقة وثقافة الزنادقة وطريقتهم فى هجاء الإسلام والنيل منه ، والتعريض بعلوم الشريعة أو بالقرآن والحديث .. إلخ .. وكان للجاحظ كغيره من المعتزلة فى هذا العصر نصيبًا من الجهاد فى الرد على أعداء الإسلام من الفلاسفة اليونانيين ، وغيرهم من الذين يؤمنون بالعقل ويكفرون بالنص ، أو يقدمون العقل ويلحدون فى النقل ، ولاغرض لهم إلا رد السماع جملة وتفصيلاً ، فيردون الحديث حتى ولو صح عقلاً ونقلاً بحجة أحاديثه .. أو يتمسكون بشبهة القياس أو المنطق فقط .

وقد وصف الجاحظ المانوية والثنوية وصفا دقيقًا ، وفضح تفاهاتها التى لا تصمد لحكم العقل أو النص ، فيقول : (إن كتبهم لا تفيد علماً ولا حكمة ، وليس فيها مثل سائر ، ولا خبر طريف ، ولا صنعة أدب ، ولا حكمة غريبة ، ولا فلسفة ، ولا مسألة كلامية ... وجل ما فيها ذكر النور والظلمة ، وتناكح الشياطين وتسافد العفاريت ، وذكر الصنديد ، والتهويل بعمود الصبح » [١] .

ثم يذم كتب المانوية والمجوس ويستخف بمعانيها : (إن هؤلاء الزنادقة أثروا فى بعض الناس ، وخاصة فى ناس من الصوفية والنصارى ، فكانوا يرفضون الذبائح ، ويبغضون إراقة الدماء ، ويزهدون فى أكل اللحوم ، .. إن قوما ممن ينتحل الإسلام يظهرون التقذر من الصيد ، ويرون أن ذلك من القسوة ، وأنه يسلم إلى التهاون بدماء الناس والرحمة شكل واحد ، ومن لم يرحم الكلب لم يرحم الظبى . ومن لم يرحم الظبى لم يرحم الجدى ، ومن لم يرحم العصفور لم يرحم الصبى ، وصغار الأمور تؤدى إلى كبارها ، يضاهون فى ذلك سبيل الزنادقة » [٢] .

وشملت لفظة الزنادقة أيضا عند الإسلاميين القدماء الملحدون والدهرية .. ومما يسوء فى هذا الصدد أن نجد أن الخلاف والجدل الكلامى والمناظرات التى كانت تحدث فى العصر العباسى لم يخل أيضا من الغلو وسوء الأدب .. فاتهم بعض المعتزلة أنفسهم بالإلحاد أو الزندقة أو الشعوبية » وهو نوع من الإفراط غير

(١) الحيوان ١ / ٢٨ .
(٢) الحيوان : ٤ / ١٣٦ ، ١٣٧ .

المقصود .. وغير المحمود أيضاً .. ولكن يغفر لهم جهادهم الإيجابى فى الرد على أعداء الدين من أصحاب الديانات غير السماوية ، كالمانوية والثنوية والمجوس والديصانية والمرقيونية والمزدكية ، أو أصحاب الديانات السماوية كاليهود والنصارى ، وأصحاب الفلسفات السريانية أو اليونانية .. ومن أمثال هؤلاء الذين ردوا على الملحدين من المعتزلة واصل بن عطاء ، وأبى الهذيل العلاف ، وبشر بن المعتمر ، وابراهيم النظام ، فهؤلاء أخذوا يستعرضون ما تقوله الزنادقة ويناقشونهم ويردون عليهم ، ويلزمونهم الحجة .

ووسط هذه الاتجاهات الفاعلة والإيجابية ظهرت اتجاهات سلبية اعتزلت العمل الإيجابى وقبعت فى المساجد أو فى البيوت ، لا يهمها سوى صلاح أنفسها ومع ذلك اعتبروا المثل الأعلى والقدوة فى الإيمان والتدين على مر التاريخ الدينى ، ومن هؤلاء عبد الله بن المبارك وسفيان الثورى وداود الطائى والفضيل بن عياض [1] .. الخ .

* * *

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ ١ – ١٧٧ ..

obeikandl.com

ابـن المقفـع

يعد ابن المقفع نتاج ثقافة فارسية عميقة واسعة لقحت بعد بلقاح عربى فكان من هذا وذاك أدبٌ جمٌ ، مدين فى أكثر معانيه للفرس ، وفى أكثر ألفاظه وأساليبه للعربية . .

وابن المقفع فارسى الأصل وكان أبوه يدين ، بمذهب زرادشت ونشأ ابن المقفع – كأبيه – وعاش عمره مجوسيًا وأسلم على يد عيسى بن على بن عبد الله . وأسلم قبل أن يقتل بسنوات قليلة . . وكان شديد الكراهية للعرب . . شأنه بذلك شأن المتدينين .

وامتدح المؤرخون أخلاقه وذكاءه وعقله وجوده وسخاءه ، يقول جعفر بن يحيى : (عبد الحميد أصل ، وسهل بن هرون فرع ، وابن المقفع ثمر ، وأحمد بن يوسف زهر) .

وروى الجاحظ أن « ابن المقفع ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد كانوا يتهمون فى دينهم » وذكر المؤرخون شهادة المهدى على ابن المقفع وزندقته : « واتهمه الباقلانى والقاضى عياض بمعارضته للقرآن الكريم !

ومع اعتراف الاستاذ أحمد أمين بترجمة ابن المقفع من اللسان الفارسى العديد من الكتب ومنها الكتب الدينية . . إلا أنه ينفى تمامًا ترجمته لهذه الكتب المانوية بعد إسلامه . . ثم يبدأ فى التشكيك فى رسالته التى رد عليها القاسم بن إبراهيم (الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع – عليه لعنة الله – . . .) . .

وإن كان لا يهمنا مدى نسب هذه الرسالة بابن المقفع من عدمه . . لدلالتها على جهاد الإسلاميين فى الرد على عقائد الديانات المنحرفة والضالة ومحاربة الزنادقة فى ذلك العصر . .

وقد أثبت المحقق الإيطالى – ميكل أو ميكائيل انجلو جويدى – أنها لابن المقفع إلا أن الاستاذ أحمد يشكك فى نسبتها لابن المقفع من عدة نواح منها الفنى والأسلوبى ، كما أنه لا يجد لها أثرا فى كتب الفهارس كفهرست ابن النديم والمسعودى . . بل يمتد شكه إلى رد القاسم بن إبراهيم بنفس الأسلوب .

ولا مجال للشك فى رسالة القاسم بن إبراهيم لما ذكره حفيده الهادى يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨ هـ) فى كتبه من نصوص منقولة عن هذه الرسالة .. وما ذكره الإمام المهدى فى تاريخ أئمة الزيدية ونصه على هذه الرسالة ونسبتها إلى القاسم ، كما أن الإمام يحيى ينقل عن هذه الرسالة ، ولم يذكر تواتراً يثبت رسالة لصاحبها مثل هذه الرسالة ؛ وأما تشكيك الاستاذ أحمد فهو يستند إلى حب عميق لابن المقفع .. وربما ألفها ابن المقفع قبل إسلامه ، وهو أمر معقول جداً .. أما ما جاء فيها من سجع ، فهو شأن ما جاء إلينا من طريقة الثنوية فى كتبهم الدينية ، ولا يتخلف عنها ما كتبه ابن المقفع وذلك لأنها كتب لا تعتمد على العقل ، ولكنها تعتمد على الخرافات والأساطير والقصص ، فى دعم فكرة الاثنينية ولاغرابة فى أن ينهج ابن المقفع نهج غيره من المانوية ..

ويدعم رأينا فى الموضوع ما يذكره الأستاذ أحمد أمين بنفسه من أن عصر ابن المقفع كان عصر (صراع لغوى ودينى ، وصراع عادات وتقاليد ، وصراع علمى ..) [١] .

كما ذكر هذه الرسالة ابن الوزير ضمن مؤلفات القاسم فى كتابه هداية الراغبين عند ترجمته له [٢] .

أما عن ترجمة ابن المقفع فقد أحسن الأستاذ إسماعيل مظهر الترجمة له فى كتاب سير ملهمة من الشرق والغرب فقال .

عبد الله بن المقفع ، عاش فى أوائل القرن الثانى من الهجرة ، ومات مقتولاً فى سنة (١٤٢ أو ١٤٥ هجرية) .

ويقول الأستاذ «براون» إن مقتله كان سنة (٧٦٠ م) .

---

(١) ضحى الإسلام : جـ ١ / ٢٤٦ .

(٢) المخطوط : لوحة ٨٨ و – ٨٨ ظ .

١- يقول «**ابن مقلة**» : إن ابن المقفع كان من أفصْح الفصحاء ، وأبلغ الكتاب .

٢- ويقول فيه «**ابن خلدون**» المؤرخ الكبير : إن طوَّعَ اللغة العربية ، وكتب بأرقى أساليبها ، فكان رأس الكاتبين بما يسمى أسلوب « السهل الممتنع » .

٣- ويقول «**ابن خلكان**» : إن « الكاتب المشهور بالبلاغة » . كان مجوسيًا فأسلم على يد على بن عيسى بن على عم السَّفاح والمنصور الخليفتين الأولين من خلفاء بنى العباس .

٤- قال «**الأصمعى**» : صنف ابن المقفع المصنفات الحسان ، منها « الدرة اليتيمة » التى لم يضف فى فنها مثلها ، ويذكر أنه قيل له : من أدبك ؟ فقال : نفسى . « إذا رأيت من غيرى حسنًا أتيته ، وإن رأيت قبيحًا أبيته » .

وأشهر كتبه بين الناس « كليلة ودمنة » . وكان يعرف اللغة الفهلوية ، فترجم عنها كتبًا ، لم يبق منها إلا هذا الكتاب وقد ارتفع أسلوبه فيه إلى ذروةٍ قلما طاوله فيها كانت آخر من المنشئين .

اجتمع بالخيل بن أحمد واضع العروض ، فقال فيه الخليل : « علمه أكثر من عقله » . وقال فى الخليل : « عقله أكثر من علمه . ولقد صحت قولة الخليل فيه إذا علمنا أنه كان يعبث بسفيان بن معاوية أمير البصرة ، ويبالغ فى إيذائه بالكلام وينال من أمه ، فحقد عليه وتربص به ، فلما خرج عبد الله بن على ، على ابن أخيه المنصور الخليفة العباسى . وهزمه أبو مسلم الخراسانى هرب إلى أخويه سليمان وعيسى ، واستتر عندهما متوسطا له عند المنصور ليرضى عنه ، فقبل شفاعتهما ، واتفقوا على أن يكتبوا له عهد أمان . فلما أتيا البصرة ، عهد إلى ابن المقفع أن يكتب العهد فكتبه ، ومما جاء فيه :

« ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن على ، فنساؤه طوالق ، ودوابه حبس ، وعبيده أحرار ، والمسلمون فى حل من بيعته » .

فلما رأى الخليفة العهد سأل عمن كتبه ؟

فقيل له : « ابن المقفع » ؛ فأمر بقتله ، وتولاه سفيان وكان شديد الحنق عليه ، فقتله شر قتلة .

ومن مأثور كلامه : « لا يؤمننك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا إلف . فإن أخوف ما يكون الإنسان لحريق النار أقرب ما يكون منها ، وكذلك الجاهل : إن جاورك أنصبك ، وإن ناسبك جنى عليك ، وإن ألفك حمل عليك ما لا تطيق ، وإن عاشرك آذاك وأخافك مع أنه عند الجوع سبع ضار ، وعند الشبع ملك فظ ، وعند الموافقة فى الدين قائد إلى جهنم ، فأنت بالهرب منه أحق منك بالهرب من سم الأساود ، والحريق المخوف والدين الفادح والداء العياء » كان اسمه « دازويه » قبل أن يسلم .

رمى بالزندقة ،

واتهمه الجاحظ فى دينه .

عاش ستا واثلاثين سنة [1] .

* * *

(١) صمويل ينسنون ، ووليام دى ويت : سير ملهمةمن الشرق والغرب ١ – ٢ بتصرف . بقلم الأستاذإسماعيل مظهر .

obeikandl.com

القاسم بن إبراهيم
ورده على الثنوية وابن المقفع

تعد العقائد الشرقية من أطول العقائد عمرًا ، وأبعدها فى التاريخ ، وعلى الرغم من احتدام المعركة بين الإسلام والإلحاد والزندقة ومع العقائد الدينية كاليهودية والنصارنية ، إلا أن شأن الثنوية والعقائد الشرقية بدا وكأنه قد انتهى ، وهو ما لم يعترف به عبدة البددة ، والسيخ والبرهمية والهندوس وعبدة النار ، التى لم تطفأ منذ أوقدوها وعبدوها وصارت رمزًا لحضارتهم .

وإذا كانت الصدامات الحضارية قد أخذت أعلى منحنًا لها فى العصر العباسى مع المجوسية والمانوية وغيرها فى الشرق ، ثم هدأت تمامًا ، فلم نجد كتبًا ولا مؤلفات بعد ذلك ترد على عقائدهم ، إيمانًا من غلبة التوحيد وأنصاره عليهم ، إلا أن أعداء الإسلام لم يؤمنوا أبدًا بهذا السلام ، وما حدث ويحدث بين المسلمين والهندوس والسيخ فى شبه القارة الهندية يدل على ذلك ، وأحداث كشمير التى تعد بؤرة للصراع الحقيقى بين المسلمين وهذه العقائد تمثل أصدق تمثيل حقيقة الصدام الحضارى بين الإسلام كثقافة وحضارة وعقيدة ، وغيره من ثقافات الشرق الأقصى .

وكذلك صدام المسلمين الحضارى مع عبدة بوذا ومانى فى شبه القارة الصينية ، وعدم قدرتهم على التعبير عن أنفسهم أوالمشاركة فى الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية للصين ، فضلا عن هضم الكثير من حقوقهم ، وتجاهل جماعات حقوق الإنسان فى الغرب لوضع المسلمين هناك ، كل ذلك يشهد بأن الصراع لم يمت بين التوحيد والاثنينية ، وبين من يشعلون النار فى المعابد تحت أقدام تمثال بوذا ومانى وأصحاب العقيدة الخالدة .

لقد ظل الإنسان فى التاريخ يعبد الله ويوحده ما دامت هدايات السماء تطرى وتتابع عليه ، إلا فى زمن الفترات التى انقطع فيها الوحى ، وغابت عنه الرسل ، ضل وعبد الأصنام والأوثان ، واخترع دينًا أرضيًا يرضاه ويشبع هواه وقناعاته الشخصية .

ولذلك تتمثل إشكالية العقيدة الثنوية وغيرها من العقائد الشرقية فى عبادتهم لآلهة أرضية أو حتى سماوية محسوسة ملموسة متعددة ، أما التوحيد والصمدية وتقديس الذات عن مشابهة المخلوقين فقد غاب عنهم ، أو لنقل غابوا عنه .

فإله واحد للخير والشر والنور والظلام ، خلق الإنسان والملائكة والشياطين ، لا يقبل الهدايا والرشا والفساد ، لم يدركوه .

وينقد القاسم تقسيم الثنوية فى عقائدهم الأشياء إلى قسمين ، نور وظلمة ، خير وشر ، أرض وسماء ، ملائكة وشياطين .

وكل مخلوق نتج عن مزاج النور والظلمة وتزاوجهما ، رغم أن كل منهما يمثل اتجاهًا وهو فى نفسه إله ، ورغم عداوة كل منهما للآخر ، وأنهما متنافران لطبيعة كل منهما المتغايرة ، ويسخر من هذا التناقض ، إذ أنهما امتزاجا ، وهما اللذان ما عرفا هذا الامتزاج من قبل علي حد قول الثنوية ! .

فكيف رضى ممثل الخير ، الذى هو الأصل فى وجود الأشياء ، وقبل الشر ممثل دولة الشيطان فى ملكوته وكيف التقى النور بالظلام ولمَ ؟!

كما ينقد مقالتهم بأن النور خير ، وهو لا يلزم والعقل يشهد بغير ذلك ، وكذلك قولهم بأن الظلام شر خالص ، فلا النور خير خالص ، ولا الظلام شر خالص ، وكلاهما يحمل صفات الخير والشر ، ولا حكم لأحدهما على الآخر ، ولا حكم لهما على المخلوقين ، وهما مخلوقان ككل المخلوقات تنفعل وتتأثر كما ينفعل كل مخلوق ويتأثر ، ومنهما علل للأشياء ومعلولات ، ويحكمهما قانون الحركة وناموس الخالق فى إدارة الكون والحياة .

وما يحدث للإنسان من حياة وموت ، وصحة ومرض وفرح وحزن ، ليس من شأن النور أو الظلام أبدًا ، وهى أفعال للإنسان نفسه خلقها الله فيه خالق كل شئ ، كما أن الله جعل فى الشمس الحرارة والضياء ، وفى الماء الحياة والغرق .

وقد ورث ابن المقفع معتقدات مانى ، بحكم البيئة التى ولد فيها ، وآمن بها ودافع عنها ، وورث حقده على الإسلام ودولته التى قهرت بلاده وكسرت شوكة الكهنة

وكسرت البددة والأصنام ، ولم يعد لمانى وجود إلا فى نفوس الحقدة على الإسلام الغالب آن ذاك .

ووضع ابن المقفع كتابًا فى نصرة العقائد الثنوية ، يدعو فيها المسلمين إلى الإيمان بها وزاد على ذلك أن وضع لأتباع مانى خطة فى تضليل الضعفة والعامة وأصحاب الأهواء من المسلمين عن عقيدة التوحيد !

وكلام ابن المقفع فى جملته عبارة عن هرطقات وطقوس وطلاسم ، تليق بهذيان الكهان فى معابدهم - تستهوى الجهال وتستميل أصحاب الأهواء ، وترضى نفوس الأتباع فى ظل الأبخرة المتصاعدة والأضواء المتناثرة من أرجاء المعابد ، وخلف الصور التى يقدسونها .

فالله رحمن رحيم ، وعلى الرغم من ذلك يلومه على خلق الشر فى العالم متمثلاً فى الشيطان ، وهو متعال وفى الوقت نفسه هو فى المباول والقذرات والأوحال بحكم نورانيته المحسوسة فى فهمه واعتقاده !

كما أنه يملك الكون ، وفى الوقت نفسه معه آخر يملك ويحكم ، ينقض أحكامه ، بل له أحكام قاهرة عليه ..! وكل ذلك غاية التناقض والفساد .

ثم وصف ابن المقفع إله النور بالعظمة ، وهى تلك التى اضطرت أعداءه لتعظيمه واحترامه ، وفى أثناء ذلك لا يفرق بين العامى والعمى ، مما يجعل القاسم ينتقصه ويصفه بالجهل وعدم معرفة الفروق اللغوية بين الألفاظ إذ دلالة العامى غير العمى !

ويقف القاسم عند دلالة التسبيح والتقديس عند الثنوية والفرق بينها وبين المقصود منها فى الدين الإسلامى ، فعندهم ألفاظ جوفاء ما يحدث يثبت أضادها ، يقول القاسم : «نقول فى الله الملك القدوس ، كما قال ، إذ كان كل شئ فبتقديسه نال من قدس البركة ما نال .

ومسبح فقد نقولها ، إذ نجدها له ، ونعقلها من كل ما هو سواه مفطوراً ، ظلمة كان ذلك أو نوراً ..

ويرد زعم ابن المقفع بعد ذلك تمييزه بين الأشياء من حيث كونها محمودة أو مذمومًا ، فقال : « منها » ، وهو اقتطاع لا تقبله العقول ، ثم إن التفاضل يقع فى محمود الأمور ومذمومها ، مما يجعل الأمور لا تبقى خيرة بصفة دائمة أو شريرة كذلك بصفة دائمة ، وربما انقلب النور شرًا ، أو الظلام خيراً حسب طبيعة الظروف والأحوال وهو ما لم يعقله ابن المقفع فزايد فى عقيدته من غير مزايد .

ويفضح تناقضه فى كون بعض الناس يرجون من الظلمة ، التى قال فيها أنها شر ، الخير ، فيقول له من الذى رجا منها الخير ، أهو النور أم أعوانه ، أم أتباع الظلمة على ما فيهم من شر !

وهو من قبيل الجدل اللازم لقضية ودعوى الخصم . والذى انتهى به إلى القول بأن ابن المقفع تخبط بين إلهين ، ووصفهما بأوصاف مقلوبة ومغلوطة تدل على تشوشه الذهنى ، ويعلق مفسراً ذلك بقوله : « وليس علته فيما أحسب من ضلاله ، ولا علة من تبعه جهالة ، إلا قلّة علمهم بما شرع الله به دينه ، ونزّل به كتابه من الحكمة ؛ لا عن شبهة دخلت عليه – ولا عليهم – فيما وصفوا من النور والظلمة » .

ويبدو من كلام القاسم أنه يوجه حديثه إلى ابن المقفع وحركة كبيرة من جمهور الثنوية من المرتدين عن الإسلام ، وجهلة الأتباع والغواة الذين أغراهم ابن المقفع وحركته التى عملت كطابور خامس بين صفوف المسلمين تعمل على زعزعته .

العقيدة وهدم الإسلام ومبادئه الثابتة

ويقول القاسم إن عقائد المانوية أهون من أن يرد عليها أمثاله ، غير أن تجاهل العلماء لهم ، وجهل بعضهم بالرد عليهم ضخم دعوتهم وشأنهم عند العامة فانقادوا لهم .

ثم يبين سر التوحيد والوحدانية والتفرد والصمدانية وتنزيه الخالق من الشريك والند والولد ، ويعقب ذلك تفسيره لسبب قذف الله الشياطين زمن نزول الوحى ،

وكونه أمراً معقولاً ليس لابن المقفع أو غيره عليه مأخذ ، ويبين السبب فى نزول الوحى منشوراً ، وأن للجن مقاعد للتسمع على أهل السماء ، وما الذى أدى إليه رجم الشياطين وحراسة الوحى .

ثم تلى ذلك الحديث عن علة خلق الله بعض عباده أطهار بررة ، وبعضهم أرجاس فجرة ، ولمَ يسمح الله ، عز وجل ، بظفر أعدائه بأوليائه ، وأن لله أن ينصر أولياءه بما يشاء .

وغلبة جند الله على حزب الشيطان أمر نافذ وحاصل وتفسير قوله تعالى : ﴿ **ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ ، وأن الله هو الرامى وإثبات قدرة الله وعدله بين خلقه ، وكذلك بيان السبب فى قتل اعداء الله لأوليائه ، وأنه أمر يرجع لأصل الطبيعية الإنسانية ، يقول القاسم : « قاتله الله ولعنه ، لو لم يقتلوا لم تجب لهم من الكرامة عنده ما أوجبه ، ولم يدركوا ثواب ما كان القتل فيه سببه ، ولو كان له علينا فى قتلهم مطلب ؛ لكان فى موتهم » . .

وقد أمهل الله عباده ، ليعرف المطيع من العاصى ، وأن فساد الأبدان بالعلل المهلكة ، والأديان بالعقائد الفاسدة يرجع للإنسان يقول القاسم : « لقد وفَّاهم ، سبحانه ؛ طبائعهم مفصلة ، وسلمها إليهم مكملة عن هلكات العصيان ، وشين معائب النقصان فما دخلها من سقم بدنٍ ، أو فساد متدين ، فبعد اعتدال تركيبها عن كل نقص من معيبها ، وما فسد لهم من دين بعصيان ، فبعد هدى من الله وبيان ، وتخيير فى الطاعة وإمكان .

والله لا يضل عباده ولا يعذبهم بغير ذنب ، ولا يجبر أحداً على طاعة أو معصية ، ويصف رحمة الله وعدله بقوله : « كيف وهو من عصاه استرضاه ، ومن استكبر – وهو القادر عليه – أملاه ، ثم كرر فى دعواه الهدى نداءه ، ثم من قبل خطأه فيه جازاه ، ومن أبى عطيته من الخيرات حرمه ، وهو الذى قبح من كل ظالم ظلمه » .

ونعم الله على خلقه كثيرة وعلى وحدانيته شاهدة ، فهو الصانع والخالق والمبدع والحكيم ، تقدس عن كل نقص ، ومدح بكل كمال هو به موصوف .

وشكك ابن المقفع مرة أخرى فى الرسالة والرسول ، وعمل على القدح فى أمانته وصدقه ، فينكر عليه القاسم تسائله ، ويرده إلى الجهل ويبين أن الإسلام دعوة للمعرفة والبحث والنظر : « جاء النبى ، صى الله عليه ؛ يدعو إلى المعارف ، أو يأمره ؛ عليه السلام ؛ بالكفِّ عن الطلب والبحث ، وهو الكاشفُ عن أسرار الغيوب ، لكل مبتحثٍ ..؟! » .

وعَمل الرسول ، ﷺ ، بما أمره الله به ، من الدعوة إليه على بصيرة من النظر والتأمل وإعمال الفكر والبحث ، ويأتى القاسم من النص بما يرد دعوى ابن المقفع ، فالإسلام هو الدين الوحيد الذى حدث أتباعه بما ركبه الله فيهم من العقل ، وخاطبهم خطاب العاقل إلى العقلاء وردهم إلى النظر والتأمل والإقناع بكل سبيل ، ومدح المعرفة بأنواعها ، والعلماء : « فهل دعا أحدٌ إلى إخلاصِ الفكر دعاءه أوحدى أحد من الناس على النظر حداءه ؟! » .

وقد دعا ابن المقفع إلى شقِّ الصف المسلم والإغارة على الدولة والحكم بدعوته إلى الشعوبية المقيتة التى أمر الرسول ، عليه السلام ، بتركها فقال : « دعوها فإنها منتنة » فالقبلية دعوة نتنة والشعوبية دعوة أنتن ولاعصبيات فى الإسلام ، ومن دعا إليها بغيض عند كل موحدٍ ، وذم ابن المقفع الإسلام وأهله ، بما أوجب قتله فهل أخطأ من قتله ؟!

وبين القاسم فضائل الإسلام على الناس أجمعين ، ودعا كل قادح أن يفرق بين الإسلام والمسلمين ، وبين الشرع وحكام الجور والظلم فليسوا هم الإسلام ، وتاريخ الإسلام طفح بأفعال وسيئات هؤلاء الحكام ، كغيرهم من حكام الأرض ، والإسلام . يبرأ من هؤلاء أجمعين .

يقول القاسم فى خطأ المغرض فى فهمه . « ولكنى آراه ظن ديننا ، توهم أحكام ربنا أحكام معاوية بن أبى سفيان ، وما سنَّ بعد معاوية ملوك بنى مروان ، من تناقض أحكامها ، وجورها فى أقسامها ، أولئك فأعداء ديننا ، فالحكم الذى لم يخالطه قط تشبهها أمور ، ويحق بذلك أمر وليه أحكم الحاكمين ، وحكم جاء من رب العالمين » . جور، وأموره من الله ، فالأمور التى لا .

ولم يترك ابن المقفع مجالاً لإحد من القضاة المنصفين فى الحكم عليه بالردة والكفر فسب رسول الله ، ﷺ ؛ وذمه ، اتهمه بالسحر ، وأشرك من باب المغالطة والتمويه سيدنا موسى ، عليه السلام ؛ فقدح فى إمامين من أئمة الأنبياء ، واتهمهما بالجنون .

فبين القاسم وجه الكلمة فى معجزة موسى ومحمد ، عليهما السلام ؛ وعلق على ذلك بأن عجمة ابن المقفع – وهو من هو فى الأدب العربى – على فهم النص فجهل ألفاظه ، وغابت عنه دلالاته ، فوقع فى أخطاء شنيعة فى فهم النص .

ولا يرى الثنوية لخلق الله للعالم سبب أو علة ! . . كما يعيب على ابن المقفع سقوط لغة الخطاب وتجاوز الأدب مع الله فيقول : « تَحَسَّر الله . . اغتاظ » وهو ما لا يليق بمقام الألوهية . والله ليس له شبيه أو مثل ، وما يحدث من انفعالات للخلق لا يحدث مثلها للرب .

أما لم خلق الله العباد ؛ . . فلعبادته وطاعته والتسليم له بالألوهية والربوبية ولاختبارهم فى هذه الحياة الدنيا وابتلائهم ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها !

وتسأل ابن المقفع هل أراد من وراء اختبار وابتلاء خلقه الخير أم الشر ؟ . . « فالخير أراد بهم جميعًا ، سبحانه ؛ معجلاً ، وثواب المحسن منهم أراد ، جل ثناؤه ؛ مؤجلاً . . » هذا رد القاسم عليه ، ويعلل سبب تأجيل الثواب والعقاب للآخرة ويرجعه لاختلاف طبيعة الدارين ، وكذلك بنية الإنسان ، وحكمة الله فى أفعاله .

وانتهى التشبيه بابن المقفع إلى القول بالمكانية والعرش والكرسى ، وهو مما ينفى عن الله نصًا وعقلاً : « أما علم أن ما يراد بالاستواء إلا جلال الله والإعلاء بملكه ، لما فوق العلى ، وأن استواءه على ذلك كاستوائه على الأرض السفلى ، وأن « استوى » فى هذا كلمةٌ من الكلام ، جائزٌ معناها بين الخواص من العرب والعوام ، تقول العرب ؛ إذا ظفرت بأحد ، أو غلبت على بلد : لقد صرت إليها واستويت عليها . تريد غلب سلطانى فيها ، فهذا وجه قوله ، جل ثناؤه ؛ استوى ، لا ما يذهب إليه فيه من العمى » .

وكذلك العرش وحمل الملائكة له ، وتصوير حالهم وهم حافون من حوله ، وأوَّل القاسم العرش بالسقف ، وكذلك استتر ابن المقفع خلف بعض صفات الله الفعلية الخبرية كالاستدراج والكيد ، ليقدح فى ذات الله ، والحب والرضا والفرح .. وغير ذلك .

ويرجع بنا القاسم إلى قضية التأويل فى القرآن ، وحظ العالم من اللغة ، فلها المرجعية الأولى فى فهم النص والحكم على المتشابه :

« أفلا ؛ فلمَ لا ؛ يفكر ؛ إن كان ذا فطنة ؛ وينظر ، إن كان من أهل النظر ؛ فيما استدل به أهل الكتاب والعرب ؛ من هذه الأحرف ، على ضمائر كل مغَّيب ، فكانت هى الدليل لهم على الكتاب ، والسبب لعلمه دون جميع الأسباب !.. » .

ثم أنكر ابن المقفع وجود الصانع الأدلة المؤدية إلى معرفته ، والأدلة كثيرة ومتواترة فى النفس والآفاق وما أبدع الله فى الكون من الإتقان والحكمة وعظيم الصنع ، وقد عرفنا الله عليه ، والمتأمل واجد ضرورة توحيد الله ، فضلاً عن وجوده ، فى قلبه .

والله غيب ، ومعرفة الغيب تكون بالنظر والاستدلال ، ولا معرفة إلا بعد نظر وهو ما يتقاصر عن إدراكه ابن المقفع واتباعه !

ويبين القاسم أن ورثة العلم هم أهل بيت النبوة ، وهم الذين يعرفون تأويل الكتاب ، ويحكمون بين الخلق بالحق والرشاد ، وهى دعوى يناقش فيها القاسم ، وتحمل روح التفرد التى نهى عنها الإسلام .

ثم تحدث القاسم رادًا على ابن المقفع فبين أن الله خلق العالم من العدم الذى هو فى مقابل الوجود ، وكذلك أثبت قدم البارئ وحدوث العالم بالأدلة الواضحة والبراهين المفحمة للخصوم ، وكل ذلك دعاه للحديث عن دليل الممكن والواجب ودليل الحدوث ، ودليل الحركة والتغير ، وعن الجوهر الفرد ، ورد على تصور اليونان للقديم ووجود العالم وبين معنى التناهى وكونه منفيًا عن الله تعالى . والحد فى المنطق ، والمحدود ، والفرق بين الحد المنطقى والحد الذى يعنى حد الشئ ونهايته . والوزن والحجم والمثل ، والأعيان والأعراض ، فى فهم عميق لدلالات المصطلح ، ووجوه تعلقه .

ثم نقد ابن المقفع فى زعمه كثرة النور وكونه لا يحصى ولا يتناهى ، فيرد عليه بأن الليل هو الأخر بظلمته لا يتناهى ولا يحصى !

ثم يحكى ابن المقفع حكاية أقرب للأسطورة والخرافة عن مملكة الشيطان وجنوده وأعوانه وعرشه ووكلائه وسجونه وحصونه .

ويعقب ذلك نقده لفكرة المزاج بين النور والظلمة وكيف تزاوجا ليؤدى إلى وجود العالم بأعيانه وأشيائه .

والنور والظلمة كإلهين للخير والشر ، والهداية والضلال والله والشيطان ، حسيان جسميان ، فرد عليهم بأن الإله واحد أحد ولا يكون جسمًا ولا عرضًا ، كما رد عليه بأن الأشياء لا تتغير ، أو لا يكون إلا مثل جوهره .

أما من غرائب الثنوية زعمهم بأن النور ، وهو فى مملكة العالم العلوى ، ترك مملكته وصار إلى الأرض السفلى ، وكذلك الظلمة صارت إلى علو .

وللثنوية أسماء أشبه بالتعاويذ والطقوس ، تنم على زعمهم عن ا لتعظيم كأبى العظمة ، وأم الحياة المتنسمة وحبيب الأنوار ، وحراس الخنادق والأسوار ، والبشير والمنير والإنسان القديم .. إلخ وما الأراكنة ، وعمود السبح ، إلا من خرافاتهم .

ويحذر القاسم المسلمين من دعوة المانوية وابن المقفع ، ويختم الرسالة برده عليهم فى إنكارهم البعث والنشور ، وكذ فى إنكارهم للألوهية .

* * *

obeikandl.com

فى وصف النسخ

١- اعتمدت فى تحقيق هذه الرسالة على مصدرين الأول مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ميكروفيلم تحت رقم ٢٤١ .

وهو مصور عن النسخة الأصلية الموجودة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٦٧ علم الكلام ، وأشارت لجنة التصوير إلى أن خط المخطوط قديم وهو ضمن مجموعة رسائل الإمام القاسم بن إبراهيم والتى انتقت اللجنة هذه الرسالة منها .

٢- وبعد نسخ المخطوط ، أو بقرب الانتهاء من نسخه وجدت أن المستشرق الإيطالى ميكائيل أنجلو جويدى قد حقق هذه الرسالة لأول مرة فى بداية القرن ثم أعاد طبعها ١٩٢٧ .

وكدت أن أترك إصدار هذه المخطوطة حتى اطلعت على النسخة المطبوعة فوجدتها توليف جيد بين عدة نسخ من الرسالة ، والنص تصعب قراءته .

وقد اعتاد المستشرقون الجمع بين نسخ المخطوط ، فما وجوده فى نسخه ولم يكن بالأخرى أثبتوه .

هذا بالإضافة إلى الأخطاء العديدة فى القرآن ، أو إسقاط بعض الآيات ، أو عدم تمييز القرآن من غيره فى بعض الأحيان ، كما أشرنا لبعض السطور المنقولة أو الصفحات المنقولة من مكانها ، النص بالشكل ، وأعدنا ترتيب الفقرات .

ومع عمل الاستاذ جويدى الجيد إلا أن البون شاسع بين ما يقرأ من المخطوط وكيف يقرأ ، ويعلم الله مدى الجهد الذى بذلته فى هذه الرسالة . هى عليه ، ولكن ما لم يمكن السكوت عليه فى الفروق بين المطبوعة والنسخة التى وجدناها أثبتناه ، وأشرنا إليه ، فقد حرفت العديد من الجمل وخرجنا الآيات وصححنا ما جاء منها خطأ وأعدنا تقسيم الكتاب وضبطه حتى يتيسر فهمه ، وقدمنا لذلك بدراسة عن نقد المسلمين لعقائد الثنوية .

* * *

obeikandl.com

القاسم الرسى

هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن على بن أبى طالب ، العلوى ، الشهير بالرسى (١٦٩ - ٢٤٦ هـ ٧٨٥ - ٨٨٦م) .

متكلم ، وفقيه ، وشاعر ، من أئمة الزيدية الثوار .. نشأ بالمدينة ، وسكن جبال « قد » ، بأطرافها .. وهو شقيق الإمام الزيدى الثائر : محمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، المعروف بابن طباطبا (١٩٩ هـ - ٨١٥م) الذى ثار بالكوفة ، على عهد المأمون العباسى (١٩٨ - ٢١٨ هـ ، ٨١٣ - ٨٣٣م) ، وبايعه أهل الكوفه فى جمادى الأولى سنه ١٩٩ هـ (ديسمبر سنه ٨١٤ م - يناير سنه ٨١٥ م) .

وبعد وفاة ابن طباطبا نهض القاسم الرسى بأمر الدعوة العلوية وتمت له البيعة والنهوض بأمر الثورة سنة ٢٢٠ هـ سنة ٨٣٥ هـ ، ولقد سميت البيعة له « بالبيعة الجامعة » ، وذلك لاجتماع وجوه أهل البيت من نسل على بن أبى طالب على البيعة له .. وكان ذلك على عهد المعتصم العباسى (٢١٨٧ - ٢٢٧ هـ ، ٨٣٣ - ٨٤٢ م) .

وقد دعا القاسم للرضا من آل محمد ، ﷺ ؛ زمناً قبل عقد البيعة له بالإمامة ، وهذا يعنى عدم رضاه عن الشيعة واتخاذهم الدعوة السرية والتقية ، ولم تعجبه الدعوة فى الخفاء ، فقد اختفى عشر سنين بمصر ، والمأمون يجد فى طلبه ، وعامله على مصر : عبد الله بن طاهر يوالى البحث عنه .

ولم يستمر القاسم بالإقامة فى مصر ، وإنما عاد إلى الحجاز ، ثم خرج إلى اليمن ، وانتشرت دعوته وتجمع من حوله الثوار ، ولكن جيوش بنى العباس طاردته فى اليمن ، فعاد مرة أخرى إلى طور الاختفاء ، وظل مختفياً بالبدو حتى مات المأمون ، فعاد إلى الظهور فى عهد المعتصم ، وتمت له البيعة الجامعة .

يقول د/ عمارة إن الإمكانيات لم تساعد القاسم الرسى على الصمود فى وجه الدولة العباسية ، فاعتزل فى أرض الحجاز ، واشترى هناك جبلاً أسود بالقرب من ذى الحليفة » على مسافة ستة أميال من المدينة - اشتراه بخمسين ديناراً - وجعل منه حصناً ، ومزرعة ، ودار هجرة له ولأولاده وذويه .. واسم هذا الجبل : « جبل الرس » ،

الذى نسب إليه فعرف بـ« الرسى » .. وهناك عاش بقية عمره ، ومات ودفن بجبل الرس . ويصفه مؤرخو الطبقات بأنه « نجم آل رسول الله وفقيههم وعالمهم المبرز فى أصناف العلوم ، ومن يضرب به المثل فى الزهد والعلم » ..

ويقول عنه ابن الوزير فى كتابه « هداية الراغبين » .. « وله ؛ عليه السلام ؛ العلم الزاخر والتصانيف الفائقة فى علم الكلام وغيره من الفنون منها :

١- كتاب الدليل الكبير : فإنه بالغ فى علم الكلام والرد على الفلاسفة مبالغة حسنة ، وأشار فيه من لطيف الكلام ما لا ينتهى إليه إلا المبرزون ، ولا يبلغه إلا المحصلون ومنها :

٢- كتاب الدليل الصغير .

٣- وكتاب العدل والتوحيد الكبير .

٣- وكتاب العدل والتوحيد الصغير : وفيه من أصول العدل والتوحيد وتصديق الوعد والوعيد ، والمبالغة فى الكلام على الجبرية ، على لطافة حجمه ، ما يشهد لغزارة علمه ووفور فهمه .

ومنها : ٤- كتاب الرد على ابن المقفع ؛ الذى نصر فيه القول بالتثنية ، فردَّ ، عليه السلام ، مقالته ، وزيَّف بعلمه جهالته .

ومنها : ٥- كتاب الرد على المجبرة .

ومنها : ٦- كتاب تأويل العرش والكرسى على المشبهة .

ومنها : ٧- المسألة المنقولة عنه فى مناظرة الملحد وهو رجل من أرباب النظر من الملحدة ؛ كان يغشى مجالس المسلمين ، ويورد عليهم الأسئلة الصعبة فى قدم العالم ، وغير ذلك ، حتى وافاه ، عليه السلام ، وأورد ماعنده من المشكلات ، فوضع له الحق ، فتاب إلى الله تعالى ؛ ثم قال : « تعست أمة خلت عن مثلك » ؛ وفيها من غرائب العلم وعجائبه ما يشهد بعلو منزلته ، وارتفاع درجته .

وروى السيد ، عليه السلام ؛ بإسناده إلى القاسم البلخى عن مشايخه ، أن جعفر بن حرب الهمذانى دخل على القاسم بن إبراهيم فجاراه فى دقائق علم الكلام ، فلما خرج من عنده ، قال لأصحابه : أين كنا من هذا الرجل ، فو الله ما رأيت مثله .

هذا ، وجعفر بن حرب من عيون المتكلمين المتبحرين فى الكلام .

ومن تصانيفه ، عليه السلام :-

٨- كتاب تثبيت الإمامة ؛ أحسن فيه كل الإحسان فى نصرة مذهب الزيدية ، فى تقديم أمير المؤمنين ؛ عليه السلام ، على المشايخ ، وأورد الأسئلة العجيبة ، فى هذا المعنى ، على المتقدمين عليه ، ما يشهد بأنه البحر الزخار ، والقمر النوار ، والغمام المدرار .

وله ؛ عليه السلام :-

٩- كتاب مديح القرآن الكبير .

١٠- وكتاب الناسخ والمنسوخ .

١١- ومسألة الطبريين .

وله ، عليه السلام :

١٢- كتاب سياسة النفس ؛ وهو من أنفس الكتب وأغربها وأبلغها وأعجبها ، وله فى الفقه التصانيف العجيبة الشاهدة بتدقيقه وتحقيقه ، ومعرفته بالاختلاف بين الفقهاء ، وجودة غوصه على استنباط العرائس نحو كتاب .

١٣- الفرائض والسنن .

١٤- وكتاب الطهارة .

١٥- وكتاب صلاة اليوم والليلة .

١٦- ومسائل على بن جهشيار .

وغير ذلك من تصانيفه فى الفقه [١] .

* * *

(١) انظر هداية الراغبين لابن الوزير ، مخطوط مصور بدار الكتب ميكروفيلم رقم ٢٧٤ ، لوحة ٨٨ و - ٨٨ ظ ، وانظر فى ترجمته د/ محمد عمارة : رسائل العدل والتوحيد ، ص ٢١ فى الجزء الأول ، والأعلام للزركلى ٥ / ١٧١ ، والفهرست لابن النديم ، وغيرها من كتب الفهارس والطبقات .

نـص الرسـالة

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه : الحمد لله ، خالق كل معبود ، المستوجب للحمد فى كل موجود ، الذى لا يقصِّرُ عنه بالحمد [١] من رشيد خلقه حامدٌ ، الصمد الذى ليس من ورائه غاية يصمدها صامد ، دليلٌ من استدلَّ بالحقائق فيما فطر ، سبحانه ، من مختلف الخلائق التى [٢] يوجد من اختلافها ، وما خالف بينه [٣] من أصنافها ما يوجد من اختلاف الظُّلَم والأنوار ، وفرقة ما بين الليل والنهار ، بل أكثر فى الفرقة بيانًا ، وأوضح فى التباين فرقًا ، لتفاوت ما فيهما من اختلاف الألوان والطعوم ، ولضروب ما فيهما من كل محسوس ومعلوم ؛ دلالةً منه ، سبحانه ، لمتفاوتها ، ومختلف ما بين حالاتها على الأول الأحد .

السابقُ [٤] لكل عدد ، الذى لا يكون ثانٍ إلا من بعده [٥] ، ولا يثبت الثانى إلا من بعدِ عدّهِ ، البعيد من مساواة الأنداد [٦] ، المتعالى عن مناوأة [٧] الأضداد .

نحمده على ما هدانا إليه ، ودلّ برحمته من توحيد عليه ، ونسأله أن يصلىَّ على ملائكته المصطفين [٨] ، وعلى جميع رسله والنبيين ، وأن يحصَّ محمداً ، ﷺ [٩] ، فى ذلك من صلواته [١٠] ، بأفضل ما خصَّ به أهل كراماته .

ونستعينه ، لا شريك له ، على شكر نعمته ، فيما وهب لنا من أبوَّة محمدٍ ، عليه السلام وولادته ، والحمد لله رب العالمين ، ونعوذ به من عماية العمين [١١] .

١- فى ذكر مانى والثنوية :

ثم إنَّ فرقةً من الكفَرةِ قادها عصيانُها ، ونعقَ بقادتها فى الكفر والعمى شيطانُها ، إمامُها [١٢] المقدمُ ، وسيدها المعظم مانى [١٣] ؛ الكافر بأنْعُم [١٤] الله ؛ اللعين ، الذى

---

(١) فى أ : لا يقصر بالحمد عنه .
(٢) فى ب : الذى .
(٣) ٢ س : بينة .
(٤) فى س : السابق .
(٥) أى من من بعد الأول .
(٦) فى المطبوعة : الأبداد .
(٧) فى الأصل : مناواة .
(٨) فى س : والمصطفين .
(٩) ليست بالأصل :
(١٠) فى أ : صلاته . وفى س ؛ زاد : له .
(١١) هنا بمعنى من ذهبت بصيرته ولم يهتد إلى خير .
(١٢) فى س : وإمامها .
(١٣) سبق ترجمته والتعريف به فى المقدمة .
(١٤) فى الأصل والمطبوعة : مانعم .

لم يبلغْ كفرُه ، قط بالله ، الشياطين ، ابتدع من القول زوراً لم يسبقه إليه سابقٌ من الأولين ، ولم يقل به قبله قط أحد من قدماء الخالين ، مع افتراق مللهم ، ومختلف سبلهم [١] .

٢- في ذكر عقائد الثنوية :

الأشياء كلها شيئان فزعمَ أن الأشياء كلها شيئان [٢] ، وقد يوجدُ ، خلافُ زعمه ، للعيان ، فلا توجد بين ما ذكره من النورِ والظلمة فرقةٌ ، إلا وُجدتْ الأشياءُ كلُّها ، بمثله لها [٣] مفارقة ، إلا أن الفرقَ بين الأشياءِ أوجدُ ، ومن الأشياءِ للنور والظلمة أو كدُ ، مكابرةً لعقولِ أطفالِ الأنام ، وتجاهلاً بما لا تجهلهُ بهيمةُ الأنعام .

٣- قول الثنوية بالنور والظلمة وخلق الأشياء منهما :

ثم قال ؛ تحكمًا ؛ وافترى [٤] زعمًا :

« إنّ الأشياءَ كلَّها منَ النور والظلمة مزاجٌ ، وأنه لم يكن بينهما ، فيما خلا من دهرهما ، امتزاجٌ » [٥] .

سفهًا من القولِ وتعبُّثًا [٦] ومجانةً في السفه وخُبثًا . فثبت بينهما شبه الاستواء [٧] ، وحكم عليهما حكم السواء [٨] في الحالين يجمعانهما [٩] عنده معا ، وفعالين يتساويان فيهما جميعًا .

فقال في أولاهما : « لم يمتزجا » .

ثم قال في آخراهما : « امتزجا » !!

فجمعهما [١٠] عنده في الامتزاج وخلافه الحالان [١١] ، واشتراكهما فيما كان من إساءة أو [١٢] وإحسان ، وليس [١٣] في أنهما هما الأصلان ، دليلٌ واضحٌ به

---

(١) في س : سبيلهم .
(٢) في س : شيئا .
(٣) في ب : لهما وهو الصحيح .
(٤) الزيادة من أ .
(٥) في س : امزاج .
(٦) في س : تعنتا .
(٧) أي بين النور والظلمة . ؛ وفي س : الاستوى .
(٨) في س : السوى .
(٩) في س : يجمعانها .
(١٠) في س : فجعلهما .
(١١) في س : الحالات .
(١٢) في س : و .
(١٣) في س : فبيس .

يثبتان [١] ، أكثر من تحكُّمِ العماةِ فى الدعوى ، والاعتسافِ منهم فيها [٢] للعشوى [٣] .

٤- احتجاج الثنوية بنفع النور وضرر الظلمة :

ماذا يرون قولهم ، لوعارضهم مبطلٌ فى الدعوى لهم [٤] ، فقال : بل النورُ والظلمة مزاجانِ ، ومن ورائهما فلهما أصلانِ ... هل يوجدُ من ذلك لهم ، إلا ما يوجدُ لمن خالفهم ؟!!

فإن قالوا : « الدليلُ على ذلك نفعُ النور » .

*** ما الدليل على نفع النور :**

ربما ضرَّنا النورُ فى أكثر موجودات [٥] الأمور ، ولما يوجدُ من نفع قليل غيره ، أنفعُ مما يوجد من أكثرِ كثيرهِ ، لثمرةٌ أنفعُ فى الغذاءِ لآكلها [٦] من الأنوارِ فى الغداة [٧] كلها !

ولئن كانت الدلالةُ من الدالِّ على المنكر ضُرًّا ، يُعودُ عندهم شرًا ، إن النور لأدلُّ على طلباتِ الأشرارِ ، وأكشفُ لهم عن خفيات ما يبغون ، من الأسرار التى عنها يجلِّى ، لهم نورهم ، وبها كَثُرتْ فى الضرِّ شرُورُهم .

وإن كان دليلُ ، عماة الظلمة [٨] ، على ما ثبَّتوهُ أصلاً من الظلمة ، ضُرُّ الظلمةِ فى بعض أمورها ؛ لربما منعتْ كثيراً من الشرورِ بستورها ، فلم تجدْ لمنعها بسواترِ ظلامها الأثمةُ سبيلاً إلى تناول آثامها .

ولَسْنَا نجدْ عيانًا ، نورهم من المضارِّ مُعَرًّى ، ولا ظلامهم فى جميع الأحوالِ مُضرًّا ، إلا أن يكون نورهم عندهم ،غير النور المعقول !!.. فيصيروا بعدَ إثبات أصلين إلى إثبات [٩] أصول ، ويحكموا على غائبٍ لا يُرى ، بحكم لا يُتيقن ولا يُترى ، يتبين به عند أنفسهم قصرة عماهم ، ويصح لهم بلهُ عَيرهم فيه خُطاءهم !!

---

(١) فى س : بيان .
(٢) فى س : فيهما .
(٣) فى س : وللغشوى وفى الاصل للعشواء.
(٤) فى أ ، ب : بهم .
(٥) فى س : حواث .
(٦) فى ليس فى س : لآكلها .
(٧) فى س : الغدا
وفى د : انفع فى الغدا لآكلها من الأنوار كلها .
(٨) فى س : ضرا للظلمة .
(٩) فى ب : إلى تثبيت .

٥- دفع مذهبهم فى أن النور خير :

ثم يقال لهم أيضًا : حدثونا عن نور الشمس ، وما يباشرُ أبصار المبصرين منه ، عند شروقه باللمس [١] ، أليس نافعًا فى نفسه ، وعندَ مباشرة لمسه ؟!..

فإن قالوا : بلى ، وكلما تلألأ ؛ لأنه يتلألأُ ويشرق فينيرُ ، وكذا ، لا مريةَ ، [٢] كل نورٍ ، إما قليل وإما كثير .

قيل: فما باله يغشى أبصار [٣] الناظرين ويؤذيها؟!! وما بالُ بعض الحيوانات [٤] لا تبصرُ مع ضوءِ الشمس وتلألئها ؟! .

فإن قالوا : العلة أن النور إذا أشرق على ناظر الإنسان ، وغيره مما يبصرُ مع ضوءِ الشمس من الحيوان ، ردَّ مع شروقه [٥] ما فى النواظرِ من الظلمةِ إلى الناظرِ ، فلم ير فيه ، ولم يطق [٦] النظر إليه .

قيل : فالظلمةُ ، فى قولهم ، « تستُر » ، فكيف مع مكانها فى الناظر يبصرُ ، وقد ترى الأبصارُ إذا أشرقت الأنوارُ تبصرُ حينئذ الأشياءَ ، وترى الظلمة والضياء ؟!

فلو كان الظلمة لهاسترة ، لما أبصرت ما ترونها له مبصرة .

فإن قالوا : الحرارةُ هى التى [٧] فعلتْ [٨] ذلك بالأبصارِ ؛ لأن النورَ من شأنه دفعها إلى ما هى فيه من محجر القرار .

قيل : فالحرارةُ عندكم – يا هؤلاء – من شأنها الإحراقُ ، وقد نرى الناظرَ يديم النظرَ إلى شروق الشمس ، فلا يحرِقُ ناظرهُ الإشراقُ .

وقد تزعمون أن الحرارة فى الظلمة أوكد ، وفى سوسِها وكونها أوجدُ ، ثم يديم الناظرُ إليها نظره ، فلا تغشيه ولاتحرق بصره. فأى دليل أدل على تلعُّبهم ، وأوضح برهاناً على سفه مذهبهم من هذا ، عند من ذاق من المعارف ذوقًا ، أو عقِلَ بين مفترقاتِ الأشياء فروقًا ؟!!

---

(١) فى س : بالملس .
(٢) فى أ : لا مرية ، وفى س ، د: الآمر به .
(٣) فى س : المبصرين .
(٤) فى س : الحيران .
(٥) فى س : شرقه .
(٦) فى س : يطلق .
(٧) فى فيما عداب : التى هى .
(٨) فى س : قطعت .

٦- نقد مذهبهم فى أن الظلمة شرٌّ :

وأخرى – ياهؤلاء – فافهموها ، يدل فيها على غير الأوهام التى توهموها ، أن الرَّمَد الشديدَ الرمدِ ، يجد فى الظلمة راحة وفترة ، وأنه يجد فى النورِ عند مقاربته له مضرة منكرة ، ولا يرى الظلمةَ إلا تفعلُ شراً كثيراً .

وهذا فقد تبين أيضًا [١] بوجه آخر ، يدلُّ على خلاف ما قالوا ، فى الخير [٢] والشر ، وهو أن يقال لهم فى الماء – إذ زعموا أنه مزاجٌ من النورِ والظلمةِ :- ما بالُ قليله ينفعُ وكثيرهُ يضرُّ ؟!

فإن قالوا : من قِبلِ [٣] المزاجِ ، يقلُّ ويكثرُ .

قيل : فما بالُ كثيرِ نُوره ، فى الكثيرِ من بحوره ، لا يمنعُ ضرَّ كثيرِ ظلمته ، كما منعَ قليلُ نفعه قليلَ مضرته ؟!

أم تزعمون [٤] أن قليلَ النورِ أقوى من كثيره [٥] ؟!.. فهذا من القول هو المحال بعينه ، أن يكون قليلٌ من شئٍ أقوى [٦] من كثيرٍ [٧] ، كان منيراً ، أو غير منير .

ومما أيضًا يدخل عليهم ،أن يقال – إن شاء الله – لهم [٨] : حدثونا ، ياهؤلاء ، عن النورِ ما بالهَ يفرُّ [٩] عن الحرِّ إذا أحرقهُ إلى البردِ والظلالِ ، ويفر من البرد إذا آذاهُ إلى الصلاء والنار ، وهما – فى زعمكم – ظلمةٌ مضرة ، ليس لأحدٍ فيهما منفعةٌ ، ولا مسرَّةٌ ، ولن يخلو عندكم أن يكونا من سوسه فينفعاه ، أو مما زعمتم من خلافه فيضرّاه ؟!

– **فإن قلتم** : « بما فيهما من مزاج النورِ انتفعَ » .

– **قيل لكم** : فإلى أيهما فرَّ [١٠] ونزعَ ؟!

---

(١) الزيادة من د : أيضا .
(٢) فى س : للخير .
(٣) زاد فى ب : قبل أن .
(٤) فى س : تزعمون .
(٥) الزيادة من س : أقوى من كثيره .
(٦) الزيادة من س : أقوى من .
(٧) فى س : كبير .
(٨) فى أ ، د : لهم إن شاء الله .
(٩) فى س : نفر .
(١٠) زاد فى س : منه .

– **فإن قالوا** : «إلى أكثرِهما نوراً ، وأقلّهما فى المزاج شروراً» .

– **قيل** : لئن كان الشرُّ إلى الخير صارَ بفراره ، لقد أدركه الشرُّ منهما ، فى مقرّه وقراره ، وإن ذلك لما [1] لا ينمى [2] ندّا ، ولا يكونُ ، حيثُ كان ، إلا ضداً .

– **ثم يقال لهم** : هل الظلمةُ مضادةُ للنورِ ؟!

– **فإن قالوا** : نعم .

– **قيل** : أبمثل ما يعقلُ من تضادِّ الأمورِ ؟

– **فإن قالوا** : نعم .

– **قيل** [3] : إن الضدَّ لا يجامعُ أبداً ضداً ، إلا أفناهُ فكان له عند المجامعة مُفْسِداً ، ولا تكون المضادةُ بين الشيئين واقعةً ، إلا لمْ تجمعهما بعد تضادهما جامعة إلا مع بطلان [4] موجود أعيانهما ، أو تبدلهما باجتماعِهما عن معهور شأنهما ، كبطلانِ الثلجِ والنارِ عند اعتلاجهما ، أو كتبدُّلِ [5] اللونين أو الطعمين فى امتزاجهما .

فكيف يصلحُ [6] ، لما زعموا من الأصلين ، الاجتماع ، أو يوجد منهما ، بعد الامتزاج ، إضرارُ [7] أو انتفاعُ ؟! وهما [8] لا يكونان إلا متنافرين ، أو مزاجاً ، فيكونا متغيرين ، كتغيُّرِ الممتزجاتِ عند مزاجها ، إلى فعالٍ واحدٍ ، نجدُه منها ، بدرك الحواس ، أو بعضها ، كلٌّ واحدٍ ، لا كما قال مانى – المكابر لدركِ حسِّه ، المخالفُ فيما قال [9] ، ليفتنَ نفسه ، المتلعِّبُ فى مذهبه ، السفيهُ بمتلعَّبه !!

وهذا أيضاً يكذّبُ قولهم ؛ أن **يقال لهم** : حدثونا عن [10] مُوجدِ [11] الضحكِ والبكاء ؟!

فإن قالوا : هما من الظلماءِ . لم يصح أن يكونا ، وهما متضادان ، من واحدٍ غير متضادٍّ !

---

(١) زيادة من ب .
(٢) زيادة من س .
(٣) نعم ، قيل : زيادة من س .
(٤) فى أ : بطلانهما .
(٥) فى ب : كتبديل .
(٦) فى س : يصح .
(٧) فى س : المزاج اضطرار .
(٨) زيادة من : د .
(٩) زيادة من : س .
(١٠) فى أ ، د : ممن .
(١١) فى الأصل : موجود .

٣٢ و / وكذلك إن **قالوا** : «من النور» . لم يصح أن يكونا منه ، وهو واحدٌ غير ذى تضادٍ .

وكذلك الجوع والشبعُ ، والصبر والجزع ، والفرح والحزن ، والجرأة والجبن ، وهذا كله وفرعه وأصله عندهم ، شرٌ مذمومٌ ، وفى كل حال مقَّبحٌ ملوم ، لأنه قد يضحك ويبكى ، ويصح فى هذه الدار ويشتكى [١] ، ويجوع ويشبعُ ، ويصبرُ ويجزع ، ويفرحُ ويحزن ، ويجترئ [٢] ويُجبن ، من يكون ذلك كله عندهم منه فى بعض الحال شراً !!

فكفى بهذا ، لمن أنصفَ الحقَّ من نفسهِ منهم ، معتَبِراً .

فهذا أصلُ قول [٣] مانى ، النجس الرجيس ، الذى لم يسبقْ قولهُ فيه ، قول إبليسٍ ، ولم [٤] يعتِ على الله ، بمثله قط ، [٥] عات .

ولم يقصِّرْ بمعتقده عن غاياتِ [٦] الضلالات . وعلى هذا من قوله ، وما وصفنا [٧] فيه من أصوله ، مات مانى – لعنه الله لعنًا كثيراً ، وزاده إلى سعير نارهِ سعيراً .

*** ابن المقفع ورث معتقد مانى :**

ثم خلف من بعد مانى ، إلى الحيرةِ [٨] والهلكاتِ ، خلفُ سوءٍ [٩] ، استخلفه إبليس ، على ما خلف مانى من الضلالات ، يسمى ابن المقنع – عليه لعنةُ الله بكل مرأى [١٠] ومسمع [١١] – فورثَ عن مانى فى كفرهِ ميراثهَ ، وحازَ عن أبيه مانى فيه تراثه ، فعقد بعنقه من ضلالاته أرباقها ، وشدَّ على نفسه من هلكاته أطواقها ، فنشأ فى الغوايةِ منشأه ، وافترى على الله ورسله افتراءه ، فوضع كتاباً **أعجمىَّ البيان** ، حكمَ فيه لنفسهِ بكل زورٍ وبهتانٍ ، فقال من عيب المرسلينَ ، وافترى الكذبَ على ربِّ العالمين .

---

(١) فى أ : يشكى .
(٢) زيادة من : أ .
(٣) زيادة من :أ .
(٤) فى س : ومن .
(٥) زيادة من : أ .
(٦) فى د : غايات .
(٧) فى أ : وضعنا .
(٨) فى س : أبى الحيرة : صفة لمانى .
(٩) فى س : فاعل سوى .
(١٠) فى س : امرا .
(١١) فى س ، د : مستمع .

بما تقوم له [١] ذوائبُ الرؤوس ، وتضطربُ لوحشته أركانُ النفوس ، ووصل إلينا فى ذلك كتابُه ، وما جمجت به [٢] من الإفك ألعابُه ، فرأينا الحقَّ أن نضعَ نقضَه ، بعد أن قد [٣] وضعنا من قول مانى بعضَه ، إذ [٤] كان مانى العمى [٥] ، له فيما قال من الضلال إمامًا ، فأما النقضُ على مانى فسنضع له – إن شاء الله تعالى [٦] – كتابًا تامًّا .

زعم ابنُ المقفع ، اللعين ، عمايةً وفرطًا ، أنه لا يرى من الأشياء كلِّها إلا مزاجًا مختلطًا !.. كذلك زعم النورُ والظلمة ، اللذان هما عندَه الجهلُ والحكمةُ !..

* **فى نقد مقالة ابن المقفع :**

فاعرفوا – إن شاء الله – هذا من أصله ، فإنا إنما [٧] وضعناه لنكشفَ [٨] به عن [٩] جهله ، وبالله نستعينُ فى كلِّ حالٍ ، كانت منا فى قولٍ أو فعالٍ .

كانَ أولُ ما فتحَ به كتابهُ ، ما أكذبَ به نفسهُ وأصحابُه ، أن قال :

«**بسم النور الرحمنِ الرحيمِ**» .. فإن كان النورُ ، هو فَعَل اسمُه ، فلا اسمَ له !.. وإن لم يكن [١٠] فعل اسمه فمن فعَله ؟!

فإن هم ، ثبَّتوا له اسمًا غيره ، لم يكن إلا مفعولاً ، وإن كان هو اسمه ، كانت أسماؤه ممن سمّاه فضولاً ، والفضولُ عندهم من [١١] كلِّ شئٍ فمذمومةٌ ، وأسماؤه إذًا [١٢] كلُّها شرورٌ ملومة !!

فهل يبلغُ هذا من القولِ ، إلا كلُّ أحمقٍ أو مَخْبول [١٣] ؟!

وقال : «الرحمن الرحيم» : فلمَنْ زعم ، ألنفسهِ ، أم للأصلِ الذميم ؟!

---

(١) فى ب : به .
(٢) فى ب : به فيه ، وفى س : فيه .
(٣) ليست فى : أ .
(٤) فى س : إذا .
(٥) فى ب : العجمى .
(٦) فى ب ، س .
(٧) فى س : فإنما إنما .
(٨) فى د : ليكشف .
(٩) فى س : من .
(١٠) زاد بعدها فى ب : هو .
(١١) فى س : فى .
(١٢) فى س : إذن .
(١٣) فى الأصل : محبول .

فإن كان عنده « رحْمَناً رحيماً ، لمن لم (لمْ) يزل عنده شراً ملوماً !! .. إن هذا لهو أجهلُ [١] الجهلِ ، والرضى عما [٢] ذمّ من الأصلِ .

وإن كان إنما هو « رحيمٌ رحمانٌ » لما هو من [٣] نفسه إحسانٌ ، فهذا أحولُ المحالِ وأخبثُ متناقض الأقوالِ ! .

ثم قال : «**أما بعد ؛ فتعالى النورُ الملك العظيم**» . فليتَ شعرى ، أىُّ تعالٍ يثبتُ ، لمن هو فى أسفلِ التخوم ، ومَنْ هو مختلطٌ عنده ، بكل مذموم من الأنتان القذرة ، والبول والعذرة ، وبكل [٤] ظلمة هائلة ، وأوساخٍ سائلة ، مرتبطٌ فى الأسافل ، مزلزلٌ فيها بأمواج الزلازل ، ولا يطيِّبُ منها نتناً ، ولا يعيدُ قبيحاً حسناً ، ولا هائلاً أنيتاً ، ولا سائل بول يبساً ؟!!

وأىُّ ملك ، لمن لا يملك إلا نفسَه وحدها ، ولا يستطيع رشداً إلا رشدَها [٥] ، ولا يتخلص من مرتبط عدوه ، ولا يقدر على [٦] النجاةِ من سوء (٥) ؟!

وأىُّ عظمةٍ تحقُّ لمناوئٍ [٧] ضده بالمباشرة ، ومن لم يعلُ عدوَّه بغلبةٍ له ، عن مباشرته قاهرة ، ومن فرقته المناوأة أعضاءُ ، مزَّقتْهُ المحاربةُ [٨] أجزاءً ، ومن حطّه خزيه [٩] من أعالى العلى ، إلى بطون الأرض السفلى .

٣٢ ظ / ثم قال ، زعم ، : «الذى [١٠] بعظمتهِ وحكمتهِ ونورهِ عرفه / أولياؤه» .

فليت شعرى ، أنورٌ أولئكَ عنده [١١] ، أم ظلمةٌ ، فإن كانوا نوراً [١٢] ، فهم أجزاؤهُ ، أو ظلمةً فتلك ، زعم ، أعداؤه ؟!

فهو الذى لاولى له فى قوله ، ولا يؤمنُ عليه الفناء بعد زواله ، عما كان معهوداً من حاله ، ومع ما صار إليه من انتقاله ، عند دار أوليائه ، إلى دار أعدائهِ ؟!

---

(١) فى س : جهل .
(٢) فى ب : لما .
(٣) فى ب : له من .
(٤) فى أ : أو بكل .
(٥) فى أ : رشدا .
(٦) زيادة من س .
(٧) فى س : لمبادئ .
(٨) فى ب : العجارية .
(٩) فيما عداب : حزن .
(١٠) زيادة من : د .
(١١) فى أ : أولئك عنده .
(١٢) فى س : أنواراً .

فياويل ابن المقفع !.. أى مشسعٍ [1] عن الحق شسع ، وأى متطوّحٍ من الضلالةِ تطوَّحَ ، وإلى أىٍّ طخيةٍ من العماية تروّح ؟!!

فافهموا ، أيها السامعون ، عجيبَ أنبائه ، وتدبروا من قوله معيبَ أهوائه ، إذ [2] يزعمُ أن بعظمةِ نورهِ وحكمته ما ذكر من زورهِ ، كانت له أولياؤه ، زعم ، عارفةً ؛ كأنه يُثبتُ أنها كانت به جاهلةٌ !..

ومع تثبيت هذا من القول فى أموره ، ثبّتَ عمى الجهل ، والشرِّ فى نورهِ ، ثم نسبَ عظمةً إلى عظيم ، وثبّتَ حكمةً لحكيم !!..

فأضاف نوراً إلى منير ، ولن يخلو [3] ذلك من أن يكون قليلاً من كثير ، فيكون كثير ذلك أفضل من قليله ، فيكون مقصِّراً بالقليل عن الكثير ، وتفضيله والتقصير نقص ، والنقصُ عنده شرٌّ من شرورهِ ، والشرُّ ، زعم ، أن [4] لا يكونَ أبداً فى نورهِ !

فاسمعوا لقول التناقضِ ، وزور حجج التداحضِ ، ففى واحدةٌ مما عددنا ، وأصغر ما [5] من قوله أفسدنا ، كفايةَ نور كافية ، واشفيةِ من الضلالة [6] شافية ، لمن أنصفَ واعتبر [7] فاذّكر [8] .

فإن زعم أن عظمته ونوره وحكمته [9] هن هو ؛ زال عنه بزواله عنهن ، إذ هو هن الارتفاع والعلو !.. إلا أن يزعموا أنه ليس فى الأرض للنور عظمةٌ ، ولا فى دارِ [10] هذه الدنيا من حكمته [11] حكمة ، فيكون هذا تركُ قولهم كله ، والخروج من معهود فيه وأصله !!!

ثم قال زعمَ : « والذى اضطَّرتْ عظمتهُ أعداءه الجاهلين له ، والعامين عنه ، إلى تعظيمه ، كما زعم ، لا يجد الأعمى بدًا ، مع قلة نصيبه من النهار ، أن يسميه نهاراً مضيئًا » .

---

(١) فى س : مشتسع ، والمشسع : البعد والشطط .
(٢) زيادة من : ب .
(٣) ما أثبتناه فى : أ ، وفى ب : وإن يخلو ، وفى د : ولا يخلو .
(٤) زيادة من : ب .
(٥) زيادة من : أ .
(٦) فى س : الضلال .
(٧) فى أ : فاعتبر .
(٨) فى أ : فالذكر . وفى ب : فادرك .
(٩) فى ب ، د : وحكمته ونوره .
(١٠) زيادة من : أ .
(١١) فى س : حكمه .

وجهلهُ بما بيَّنَ العامين [1] والعمين من الفرق فى اللسان ، أوقعه بحيث [2] وقع مع جهله بمخارج القرآن ، والعامى : فإنما هو ما نُسبَ إلى أعوامِ الزمانِ ، والعمى : فإنما [3] هو أحدُ العميان .

فكيف ، ويله ، مع جهله لهذا ومثله ، يقدمُ على تعنيفِ وحى كتاب الله ومنزله ، الذى نزَّل له على رسله [4] ؟!

سبحانه الله ، ما يبلغ العمىَ بأهله ؟!..

فثبَّتَ العظمةَ من نوره جزءًا ، وجعله من أعضائه عضواً ، ونسبَ إليها بعدُ فعلاً ، أزالتْ به عن عدوِّ النور جهلاً ، ورفعت به عن العمين ، زعم ، عما هم [5] .

والعمون فلا يكونون عنده [6] إلا ظلماءهم ، فلا نرى عظمتهم ، عندهم [7] ، وإن كابروا [8] فى ذلك جهدهم ؛ إلا وقد أوّلْتَ الظلمةَ خيراً ، وأحدثتَ [9] للجهل والعمى تغيّرًا .

وهو ، يزعم ، فى قوله أنه : لا تغيّرَ فى شئ من أصوله ، والأعمى فلم ينكرْ قطُّ نهاراً ، ولم يستصغر نهارهُ احتقاراً ، ولم يعارضْهُ [10] فيه جهلٌ ، ولم يكنْ له عما فيه تبدُّلٌ .

وأعداءُ نوره [11] به ، زعم ، جاهلةٌ ، وعن مذهبه فيه ضالةٌ مضلَّةٌ ، فكيف يصح تمثيله لهم بالأعمى ؟!.. إن هذا لصممٌ ، من ابن المقفع ، وعمىً .

ثم قال : « ومسبَّح [12] ومقدَّس النورُ – الذى زعم [13] – **مَنْ جَهِلهُ لم يعرفْ شيئًا غيره** ، ومن شك فيه [14] – زعم – لم يستيقنْ بشئ بعده » .

فاسمعوا لما فى هذا القول من أعاجيبه ، وما استحوذ عليه فيه [15] من ألاعيبه ! .

---

(١) فى د : الغامين .
(٢) فى د : حيث .
(٣) فى س : إنما .
(٤) العبارة ليست فى : س ؛ د .
(٥) وردت العبارة هكذا فى س : به زعم عن العمين عماهم .
(٦) فى أ : عندهم . .
(٧) فى س : عنده .
(٨) فى ب : كانوا .
(٩) فى ب : واحاديث .
(١٠) فى س : يعارض به .
(١١) فى س : انواره .
(١٢) فى ب : هو مسبح .
(١٣) زيادة من : س .
(١٤) زيادة من : س .
(١٥) فى أ : استحوله عليه .

قال : « ومسبحٌ » .. فمن ، ياويله ، مسبحّهُ ؟!! .. إذ ليس إلا هو ، وعدوه الذى لا يسبحه ! فإن كان إنما يسبحُ نفسه ، فإنما يسبح جنس جنسه ، فما ذلك له من المدحِ ، وما يحق بهذا من مسبّحٍ ، وغير مسّبح !

فإن كان إنما سبحَّهُ جزءٌ من أجزائه ، فإنما سبحَ الجزءُ نفسَه ، وغيره نظيراً [١] من أكفائه ، وقد يحقُّ له – ياهؤلاء – على الأكفاءِ من تسبيحهِ ، ما يحق لها عليه بالسواء ، فهو مسبّح ومسبِّح ، ومادح وممتدح ، فليس له من مسبحه ، إلا ما عليه مثله من تسبيحهِ ، ولا له من مادحهِ إلاما عليه من مديحهِ ، وكلُّ هذا عجب [٢] عجيب ، وقول متناقض وتكذيب !! .

قال : « ومقدَّسٌ » .. وإنما مقدس مفعَّلٌ ، ومعناه : فمبّركٌ . فمن يبِّركُهُ ، وهو عنده يبِّركُ ولايُبَّركُ !..

وليس معه إلا عدوَّهُ الذى لا سوء إلا سوءَه [٣] فنفسه تبِّركه !.. فقد كان إذًا ولا بركةَ له !.. فسبحان الله ، ما أفحش [٤] خطأهم ، وأبين جهلَهم وعماهم [٥] .

– **فإن قال قائل منهم** : فبهذا قلتم ، وقد يدخلُ لهم عليكم ما دخلتهم .

– **قلنا** : أما « مسبِّح » فنقولها ، وأما « مقَّدس » فأنت تقولها ونحن ، لا من طريق ما كفرتَ ، فقد تقولها فى النور الذى ذكرت ؛ لأن الله ، تبارك وتعالى ، بارك فيه وفطره من البركة على مافطره عليه فنفع بقدرته فى بعض أمره ، فدّل بذلكَ على بركته وإحسانِ ولى فطرته .

٣٣ و/ ولكنا نقولُ فى الله الملك القدوس ، كما / قال [٦] ، إذ كانَ كلُّ شئٍ فبتقديسه ، نال من قدس البركة ، ما نال .

(و) مسبَّح فقد نقولها ، إذ نجدها له ، ونعقلها من كلٍّ ما هو سواه مفطوراً ؛ ظلمةً كان ذلك أو نوراً ؛ فأما هذيان التعبُّث ، وقول التناقض والتنكُّث ، فهو بحمد الله ، ما (لا) نقول ، مما لا يقارب قبوله [٧] العقول [٨] .

---

(١) زيادة من : أ . ، وفى ب : نظير ، د : نظيره .

(٢) فى س : أعجب .

(٣) فى س : لاسواه .. وربما كانت هى الصحيحة .

(٤) فى أ : أقبح .

(٥) فى س : عماءهم .

(٦) اى الله عز وجل .

(٧) فى س : قوله .

(٨) فى أ ، د : المعقول .. وفى س : المفعول .

obeikandi.com

فأما قوله ، الذى من جهله (و) لم يعرف شيئًا غيره ، فافهموا فيه هذيانه وهذره [١] ، فلعمر أبيه [٢] ، ولعمر مغويه ، «لقد يعرفُ الطبُّ والصناعاتُ ، وأنواع ما يفرق فيه الناس من [٣] البياعات [٤] ، من لا يعرفُ نوره ولا يتوهّمُ أموره» [٥] .

يعرف ذلك يقينًا [٦] من نفسه ، ابنُ المقفع ، ويرى منه بيانًا بكل مرأى ومسمع [٧] ، كم يرون من طبيبٍ طلَبَ منه ابنُ المقفعِ ، الدواءَ ، وموصل من العوامِ أوصل [٨] إليه سراءَ أو ضراءَ .

يوقن ، نفسه ، أن طبيبَه لا يداويه ، وأنه لا ينجحُ فيه بغيرِ يقينٍ مداويه ، وكذلك من أوصل [٩] إلى ابن المقفع ضراءَه ، فقد يعلمُ أنها غيرُ سرائه ، أو أوصل إليه سراءَه ، فقد يوقن – بتّا [١٠] – أنها غيرُ ضرائه .

فهذا من تكذيبه فيما قال – قائم موجودٌ ، كثيرٌ بين الناس فى كل ساعةٍ معهود ، لا يشكُ فى يقينه [١١] أهلُ الطبِّ والصنائع [١٢] ، ولا العامةُ فى ما تدبّرُ من المضارِّ بينها ، والمنافع ، وكلهم لا يوقن بشئ مما زعم فى نوره ، بل يزعمُ أن الجهلَ فى كلِّ ما هو عليه من أمورِه .

ثم ابن المقفع فقدْ يعلم – بتًّا – يقينًا ؛ أن الناسَ لا يثبتونَ لشيطانه فعلاً ، ولا عينًا [١٣] . فأى أمرٍ أعمهُ عمهًا ، أو ضلالةٍ أقلُّ شبهًا من ضلالةٍ دخلتْ بأهلها ، فى مثل هذا السبيل من جهلِها ! . .

فنعوذُ بالله من خزى الأضاليل ، ونعتصمُ به من عىٍّ لهْوِ [١٤] الأباطيل ، والحمدُ لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى ، وآله [١٥] ، وسلم تسليمًا [١٦] .

وأما ما بعدُ ، هذا من حَشْوِ كتابه ، فإنا قصرنا لضعفه فيه عن جوابه .

---

(١) فى س بالهامش : وهديره .
(٢) فى س بالهامش أضاف : العنه .
(٣) فى أ : الناس فيه .
(٤) فى س ، أ : الساعات .
(٥) زادت فى أ : أموره .
(٦) فى س : نفسًا .
(٧) فى س : مستمع .
(٨) فى أ : صل .
(٩) فى أ : اوصل من .
(١٠) فى س : بتيا .
(١١) فى س : نفسه .
(١٢) جاءت بهامش : س : الطبائع .
(١٣) فى أ : عبثا .
(١٤) فى أ : من لهو غى .
(١٥) فى س : صحبه .
(١٦) زاد فى س : طيب مباركًا فيه .

ثم قال ، وتلعَّبَ فى بعض كلامهِ ، وجوَّز مَا حكم به لنفسه من أحكامِه ، فقد يبصر المبصرون !

٣٣ ظ / زعم أن من الأمور محمودًا / وأنَّ منها مذمومًا . فقال : « منها » . ولم يقل : كلها !.. وسقط عنه نقصُها وفضلُها ، وإذا كان لأيها [١] ، كان بعض وكل ، كان لكلها يقيناً على بعضٍ فضل ، وإذا ثبَتَ بين النورِ التفاضلِ ، ثبَتَ [٢] لبعضه على بعض فضائل .

وإذا كان النورُ فاضلاً ومفضولاً ، فقد عادَ النور بعدُ أصلاً وأصولاً ، إذ الفاضل والمفضول اثنان ، والفضلُ والنقصُ منهما شيئان ، والفاضلُ خيرٌ حالاً ، والمفضولُ أسفلُ سِفالاً ، فكل جزئين من أجزائه فهما خيرٌ من جزء ، وكل عضوٍ من أعضائه فهو الشر كعضو فيهما إذا اجتمعا ، خيرٌ منها إذا انقطعا ، فمرةً فيهما خير عند الاجتماعِ ، ومرةً فغيرهما خيرٌ منهما عند الانقطاع !

وكذلك أيضًا فقدْ يدخلُ عليهم فى الظلمة ، وتفاضلها ، ما يصيِّرهُم إلى أن شرَّ البعض منها ، أقل من شرٍّ كلها ، إذ شر كلها ، أكثرُ من شرِّ بعضها ، وإذًا [٣] الشرُّ من أقلها ، ليس هو أكثرُ من شرٍّ كلها !

فالنور فى نفسه واسمه شرٌّ ضرار ، ونافع سرار ، وذلك أنه يقلُّ ، والقلّة عنده شرٌّ ، فيعودُ نوره شرًا ، ويقصر عن قدر مبلغ كماله ، والتقصيرُ عنده ضر فيعودُ ضرًا .

والظلمة فخيرٌ إذًا [٤] عندهم وشرٌّ ونفع وضرٌّ [٥] ، إذ قليلها مقصّر فى الشر عن مبلغ كثيرها [٦] فى مواقعه من الضر ، وبعضها كذلك مع كلها ، وفرعها فيه ليس كأصلها !!

فأىُّ عدوان أعدى ، أو طريقة أقلُّ هدىً مما تسمع من أمورهم أيها السامعُ ؟!!

فلتنفعكَ فى بيان قبائحه المنافعُ ، وإنما - ويله - رأىَ من الأشياء ، ومن كل

---

(١) فى س : لأيهما .
(٢) فى أ ، د : ثبتت .
(٣) فى أ : إذ .
(٤) فى س : إذا .
(٥) فى س : وضرًا .
(٦) فى س : من .

ظلمةٍ أو ضياء يحمدُ أو يذمُ فى الناس دائبًا ، وليس فى الحمدِ والذّم عندهم متقلبًا .

ألم تر أنَّ الظلمة ربما نفعتْ فحمدتْ ، وذلك إذا ستترَتْ الأبرارُ بها عن ظلم الظالمين فسلمت ، وطلبتَ فيها وبها البردَ فأدركته فى طلبها ، فهذا منها نفعٌ ظاهر فى دنيا ودين ، يراه [١] بينًا من أمرها كل ذى [٢] عينٍ وقلب رصين ، ثم تعودُ منافعها مضارًا إذا أعطب [٣] هذا منها أشرارًا .

وكذلك أحوالُ النور ، فى جميع ما يُرى من الأمورِ ، ربما نفعَ فيها ثمَّ عادَ بالضرِّ عليها ، وقد ذكرنا من ذلك فى صدر كتابنا طرفًا ، فيه لمن أنصفَ فى النظرِ ما كفى .

وقال فى كتابه ، زعم لبعض من دعا ، أن الذى دعاه إليه رجاؤه فيه للهدى !

فمن ، ياويله ، رجا الظلمة التى لا تُرجى ، ولا يكون منها أبدًا إلا الأذى ولا يفارقها أبدا عنده العمى ، أم النور الذى لا يخشى ولا يعمى ، ولا يكونُ منه أبدًا عنده إلا الرضى !!

بل ليتَ – ويله – شعرى ، فلا يشك – زعم – ولا يمترى ، مَنْ الذى يدعوه إلى الإحسان [٤] من الإساءة ، ومن الذى ينادى به [٥] إلى الصوابِ [٦] من الخطأ ، أهو النور الذى لا يُسيء ، والمصيبُ الذى لا يُخطئُ ، فلا حاجة له إلى دعائه وندائه ، وهو لا يسيء أبدًا فيكون كأعدائه ؟!

أم المسيء الذى لا يحسنُ ، المخطئ الذى الذى يشتم [٧] ويلعن ، كان – ياويله – دعاؤه ، وبه كان نداؤه ، فأنىَّ يجيبُه وليس بمجيبٍ ، وأنىَّ يصيبُ من ليس أبدًا بمصيب ؟!

إن **ابن المقفع** ليكابرُ يقينَ علم نفسه ، وإن به لطائفًا من لمِ الشيطان وَمَسِّه ، بل مثل ابن المقفع يقينا ، وما مثَّلَهُ الله به تبيينًا ، ما ذكر الله ، جل ثناؤه وتباركت

---

(١) فى س : يرى .
(٢) فى س : ذوى .
(٣) فى ب : اعطيته .
(٤) فى س : من الإحسان إلى .
(٥) فى س : يناديه .
(٦) فى غير س : عن .
(٧) فى ا : لا يشتم .

(و) تقدست [١] أسماؤه ؛ حيث يقول : ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) ﴾ [٢] .

(و) يقول الله [٣] ، سبحانه ؛ : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾ [٤] .

٣٤و/ ثم قال ، سبحانه : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١) ﴾ [٥] .

فلعمر الحق وأهله ، ما وُفّق ابن المقفع فيه لعدله ، ألم يسمع - ويله - قول الله لا شريك له : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) ؟! ﴾ [٦] .

فياويل ابن المقفع لقد أداه عتهه [٧] وعماه ،في الأمور ، إلى أجهلِ الجهل ، فيما وصفَ من الظلمةِ والنورِ .

وليس علته فيما أحسبُ من ضلاله ، ولا علةُ من تبعهَ عليه من جهاله ، إلا قلَّةَ علمهم بما شرعَ اللهُ به دينه ، ونزَّل به كتابه ، من الحكمة ، لا عن شبهة دخلت عليه - ولا عليهم - فيما وصفوا من النورِ والظلمةِ .

ولما عموا عن حكمة الله فى ذلك ورسوله ، وما حكم به [٨] ، سبحانه ، من أحكام عدله ، ورأوا فيه ما ظنوه تناقضاً ، ورأوا كل أهل ادعائه فيه متباغضاً ، ولم يلجئوا [٩] إلى الله فى جهله باستسلام ، ولا عصمهم فيه من صالح عمل بعروة اعتصام ، ولم يلقوا فيما [١٠] ما اشتبه منه ، مَنْ جعله (الله معدنه ، فيكشفوا لهم الأغطية ، عن محكم نوره ، ويظهروا لهم الأخفية من) مشتبه أموره ، الذين جعلهم الله الأمناء عليها ، ومنَّ عليهم ، بأن جعلهم الأئمة فيها ، ولم يجدوا عند علماء هذه العامّة ، فيما اشتبه عليهم منه شفاء ، ولم يرجوا منهم فى مسألة لو كانت لهم عنه اكتفاء .

---

(١) فى ب زاد : تقدست .
(٢) سورة الأعراف : آية ١٧٩ .
(٣) زيادة من : أ .
(٤) سورة الأعراف : آية ١٨٠ .
(٥) سورة الأعراف : آية ١٨١ .
(٦) سورة الأعراف : آية ١٨٥ . وبعدها فى نسختنا : ﴿ من يضلل الله فلاهادى له ، وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ﴾ سورة الأنعام الآية ١١٠ .
(٧) فى ا : عمهه .
(٨) زاد فى س ، د : به فيه .
(٩) فى س : ولا ملجا .
(١٠) فى س : ما .

ogelkandil.com

ازدادوا بذلك إلى حيرتهم فيه حيرة ، ولم تفدهم أقوال العلماء فيه بصيرة ، حتى بلغنى ، والله المستعان ، من تهافت الضعفاء فى [1] هذا المذهب (لما رأوا من جهل علماء هذه العامة ، بما فيه لأهله من الدعاوى ، مادعانى [2] إلى وضع أقواله) ، والكشف عما كشف الله عنه من ضلاله ، وإن كان عندنا قديمًا ، لحمقه وضعفه ، لما [3] لا أحسب بأحد حاجة إلى كشفه ، حتى بلغنى عن الحمقى منه انتشاره . وتتابعت بانتشاره علىَّ أخباره ، (ورفعت [4] إلينا منه مسائل عن ابن المقفع ، لم آمن أن يكون بمثلها اختدع فى مذهبه ، كل مختدع) .

فرأيتُ من الحق علينا جوابهَا ، وقطع ما وصل به من باطله ، أسبابها ، فلينصف فيها من نظر إليها ، وليحكم فيما يسمع منها ، ومن نقائضها ،حكمَ الحق ، فإنه أعدلُ الحكم وأرضاه (عند من يعقلُ من الخلق ، وما ألَّفَ من مسائله ، هذه ، وجمع ، فهو ما أوقعه من الضلال) بحيث وقع ، فذكر فيها النور والظلمة تلعّبا ، وتلعّبَ بذكرهما فيها كذبًا ، فافهموا عنا جواب مسائله ، فإن فيه – إن شاء الله – قطعَ حبائله ، التى لا تصيد صوائدها ، ولا تكيد لها كوائدها ؛ إلا حمقانِ الرجال وموقانِ [*] الأنذال .

*** الوحدانيـــة :**

كان [5] أول ما بدأ منها ، وقال به متحكمًا عنها ، أن قال : « إنْ سألناك – ياهذا – فما أنت قائل أتقول : كان الله وحدَه لم يكن شئ غيره » !

فاعرفوا ياهؤلاء ، فضول قوله ، فإن لم يكن شئُ غيره ، من [6] فضوله ، التى كثربَها كتابه ، وضلل بها أصحابه !

ومسألته هذه مما كان جوابه فيه قديمًا ، من كل من أثبت لله من خلقه توحيدًا ، أو تعظيمًا ، وفى ذلك من كتب ضعفة [7] الموحدين وعلمائهم ، ما فيه [8] اكتفاء لمن نظر فى آرائهم .

---

(١) فى س : من .
(٢) فى ب ، د : ما هو .
(٣) فى أ : مما . . وفى س : لما .
(٤) فى جميع النسخ عدا س : وقعت وزاد فى س : عن .
(*) الحمقى .
(٥) فى س : وكان .
(٦) فى س : من هى .
(٧) فى س : على الهامش : ضعفًا .
(٨) زيادة فى س .

obeikandi.com

ففى[١] كتبهم فاظروا ، ومن[٢] نور قولهم فيه ، فاستنيروا[٣] ، ففيها لعمرى منها ماكفى ، وصفوة هدى لمن اصطفى .

٣٤ ظ/ ومع ذلك ، فسنجيبُ مسألته ، ونقطع – إن شاء الله – علَّتَهُ . / نعم فكذلك نقولُ فى اللهِ ، فليعقلْ قولنا فيه[٤] من سمعَه ، مِمَّنْ لَمْ يتبع ابن المقفع[٥] ، ومن تبعه .

فقد[٦] يعلمُ كلُّ أحد ، أن الواحدَ لا يكون واحداً عند من أثبت له نداً أو ضداً ، وأنه متى كان معه غيرُه ضده – كان ذلك – أو نظيرهُ ؛ زال أن يكونَ معنى الواحد المعلوم ثابتًا ، ويعلمُ كل أحد أنه لا يكون ذو[٧] الأجزاءِ إلا أشتاتًا ، ولا تكونُ أبداً الأشتاتُ إلا كثيراً ، ولا تكون أجزاءُ ، إلا كانَ بعضها لبعض نظيراً ، أو ليس معلوماً معروفًا ، أنَّ من وراءِ كل غايةٍ غايةً ، حتى ينتهى إلى المنتهى الذى ليس من ورائه) غايةٌ ولا نهاية .

وإنه ، إن كانت مع غايةٍ غاية ، أو بعد نهاية عند أحدٍ نهاية ، فلم يصرْ بعدُ إلى غاية الغايات ، ولم ينته عقله ، إلى نهاية النهايات ، وأنه يصيرُ بالعظمة ، عند النظرِ ، من عظيمٍ إلى عظيم ، حتى يفقههُ النظرَ على غايةٍ ، ليس وراءها مزيدٌ فى تعظيم .

وكذلك الأمرُ فى كل معلومٍ أو مجهول ، حَتى ينتهى إلى الله الذى لا يدركُ إلا بالعقول ، فيجدُه كلُّ عقل سليم ، أو فكرٍ قلبٍ حكيم ، واحداً لا اثنين ، وشيئًا لا شيئين ، عظيم ليس من ورائه عظيم ، وعليم ليس فوقه عليم ، ذلك الله الرحمن الرحيم ، الواحدُ الأول القديم القدوس الملك الحكيم الذى لا تناؤه الأعداء بمقاتلة ، ولا تكافؤه الأشياء بمماثلة ، وهو الله : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ (*) ، والصمد الذى ليس من ورائه مبتغىً يصمد ، غاية طلب الخيرات ، ونهاية النهايات[٨] . وإذا صحح فى هذا صوابنا ، فهو لمن سألَ عن وحدانية الله جوابنا .

---

(١) فى ب : وفى .
(٢) فى ب : فى .
(٣) زيادة فى : س .
(٤) زيادة فى : أ .
(٥) فى س : وممن .
(٦) فى س : فكم .
(٧) فى الأصل : ذى .
(*) سورة الإخلاص : الآية ٣ .
(٨) جاءت فى هامش س : غياث .

*** خلقــه هــم أعــداؤه !**

فأما ما ذكرَ [١] بعد هذا من القيل ، فحشوٌ مسربلٌ بهذيان الفضول ، ليس فيه [٢] مرجوع نفع ، ولا يحتاج له إلى دفع .

أرأيتم حين يقول : « انقلب عليه خلقه ، الذين [٣] ، زعم ، هم [٤] عمل يديه ، ودعا كلمته ونفخة روحه ، فعادوه وسبّوه وآسفوه وأنشأ [٥] ، تعالى ، [٦] يقاتلُ بعضَهم في الأرض ، ويحترسُ من [٧] بعضِهم فى السماءِ بمقاذفةِ النجومِ ، ويبعث لمقاتلتِهم ملائكته وجنوده » !

فياويل ابن المقفع ما أكذبَ قيله ، وأضلَّ عن سبيلِ الحق سبيله ، متى قيلَ له - ويله - ما قال ؟!.. أو زعم له أن الأمر فى الله كذا كان ؟!..

ومتى - ويله - قلنا له : إن من قوتلَ هو من قُذِفَ بالقذفِ ، أو أن اللهَ ، فى نفسه ، هو المحترسُ ؟!..

أفٌّ لقوله ثم (أ ف .

*** ويقــذف الله الشياطــين صيانــة لوحيــه :**

بل الله هو) [٨] المانعُ لأعدائه [٩] ، من أن يصلوا من العلو إلى مَقرِّ أوليائهِ ، تفريقًا بعدلِ حكمهِ ، فيما تعلم الملائكة - من علمه ، بين الشياطينِ العصاةِ ، وبين ملائكته المصطفاة ، ورحمةً منه ، سبحانه ، للآدميين ، وإقصاءً عن علم السماء للشياطين ، توكيدًا به لحجته ، سبحانه ، وإحداثًا ، وإحياءً به لموتى الجهالةِ وابتعاثًا [١٠] ، وإكرامًا منه بذلك لنبيهِ ، وصيانَةً - إلا عنه - لوحيهِ .

فمن أين [١١] - ياويله - أنكر من هذا ماكان مستبانًا ، وما يراه الناسُ فى كلِّ حالٍ عيانًا ؟! .

---

(١) فى س : ذكره .
(٢) فى س : له .
(٣) فى س : الذى .
(٤) زاد فى د : أهل .
(٥) فى س : نفخت .
(٦) فى س : وإن شاء .
(٧) زيادة من : د .
(٨) فى ا : أف أف بل هو .
(٩) فى س : أعداءه .
(١٠) فى ب ، س : انباعاثًا .
(١١) فى س : أى .

ونقول : إن ما [١] نرى من هذا لم يزلْ ، وأنه ليس بحادثٍ كانَ بعد أن لَمْ يكن .

فأين كانت [٢] مردةُ قريش عن الرسولِ به ، ودلالتها للعرب فيه ، على كذبهِ ، وهو يزعم لها أنما [٣] رَمىَ بها عند بعثتهِ ، وأن الرمى بها [٤] عَلَمٌ من أعلامِ نُبوَّتهِ ؟!

فلو كانتْ عند قريشٍ ، على ما قال ، حالُها ، لكثُرتْ على الرسولِ فيه [٥] أقوالُها ، لما أرادوا من شاهدٍ أكثرَ بيانًا ، من هذا ، فى إكذابهِ !

ولكن ابن المقفع يأبى – فى هذا وغيره – إلا ما ألف من إلعابه [٦] ، للعرب إذ أكثرُها أهلُ ضواحى وبادية ، وقريشُ – إذ [٧] كانت منازلها على جبال عالية – أحدث بالنجوم عهدًا ، وأشدُّ فى الكفر تمرّدًا ، من أن يكونَ أمرُها على خلافِ ما قال الرسول فيها ، ثم لا يكذبونه فيما زعم من اختلاف حالتيها [*] !..

وإلا فالرسول كان فى حكمته ، وفيما كان له ، عليه السلام ، من فضيلة الصدقِ عند عشيرتهِ ، يتقوَّلُ ، مثل هذا ، لعبًا ، أو يفتريه [٨] ، عندهم ، كذبًا !..

*** رجم الشياطين أمر معقول :**

بل ليت شعرى ، ما أنكر ، ولمَ – ويله – نفرَ فاستكبر ، من أن تُرْجَمَ الشياطين ، على علم وحى الله ومنزله ، كى لا تسبقَ به الشياطينُ إلى أوليائها ، قبل رسله ، فينشرَ علمُه قبلها [٩] فى الناس انتشارًا ، فيزدادَ مثلُه – يومئذٍ [١٠] – له إنكارًا ، ويحكّمُ فيه ظنونه ، ويزيدُ [١١] فتنةً به مفتونة ؟!!

*** لمَ لم ينزل الله وحيه مطويًا ؟!**

فإنما هذا لا ينكرُ ، فى [١٢] رحمة الله الرحيم ، وفيما خصَّ اللهُ به رسله من التكريم .

---

(١) فى س : إنما .
(٢) فى ب : فإن كانت .
(٣) فى د : أن ما .
(٤) زاد فى أ: عن .
(٥) فى د : لكثرت فيه على الرسول .
(٦) فى س : العماية .
(٧) فيما عدا س : فإذا .
(*) فى المطبوعة : حالتها .
(٨) فى الأصل : يفترى به . وفى المطبوعة فإذ .
(٩) فى س : فيها .
(١٠) زيادة من : د .
(١١) فى هامش س : يزداد .
(١٢) فى س : نكر من .. وقومنا العبارة حتى تفهم بوضع «لا» وكانت هكذا : فإنما من هذا ينكر ..

فإن قال : فما باله إذا أرادَ إنزاله ، لم يطوِه ، حتى لا يناله شيطانٌ مريدٌ ، ولا مطيع رشيد ، إلا رسولهُ ، من بين خلقه ، وحدَه ، فيكون هو الذى ثبتَ رشدَه ؟!

فليعلم أنه لا تصلُ إلى الأرض من الله ، حكمةٌ فى تنزيل ، إلا كانت ملائكةُ الله أولى ، فيها بالتفضيل ؛ لأنها [1] ، صلوات الله عليها ، أطوعُ المطيعين ، وأعلمهم عن اللهِ بحكمِ التنزيل ، وأنها – فى ذلك – متعبدةٌ ، وبه لله ؛ عز وجل ؛ ممجِّدةٌ .

وإنما تغمَّدَها الله ؛ سبحانه ؛ بالعلم وفضَّلها فى العبادة ، للحكم والتنزيل ، بعلم العلوم ، وبحكمةِ كل محكوم .

*** للجن مقاعد للتسمع على أهل السماء :**

وحيلةُ الجن حيلةٌ للسموٍ إلى السماء محتملة ، والجن فهم [2] بفضل أهل السماء عالمون ، وإلى علم ما عندهم من العلوم متطلعون ، فإذا دارت فى الملائكة حكمةُ وحى نزلَ فيها ، أو عدلُ حكمٍ حَكمَ [3] به فى الأمور وعليها ؛ استرقَتْ منه الجنُّ ما سمعَتْ فى مشاهدِها ، وما ذكرتْ أنه لها هناك من مقاعدِها .

(ألم تسمع قولها فى ذلك ، وخبرها عن مقاعدها هنالك : ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠** ﴾ [4] !

وهذا – يا هؤلاء – فإنما كان فيها ، ونبَّأ اللهُ به فيما روى [5] عنها بعد أن قالت : إنا سمعنا – فى الأرض – قرآنا عجبًا – ألا تسمعها تقول : ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨** ﴾ [4] !.. وما ابن المقفع بمأمون أن يظنَّ أنَّ الحرس شرطيون !..

لما بلونا من جهله باللسان ، وقلةِ علمه بمخارج القرآن ، وإنما [6] الحرس مثل على معنى الحفظ لها ، بما جعل من الرحيم دونها ، فازدادت الجنُّ بما وجدت هنالك [7] يقيناً وإيماناً بذلك .

---

(١) فى ب : فإنها .
(٢) فى س : فهو .
(٣) زاد فى د : حكم .
(٤) سورة الجن : الآيات من ٨ – ١٠ .
(٥) فى الفاصل كلمة غير واضحة .
(٦) فى س : دائما . .
(٧) فى س : هناك .

* نتائج رجم الجن وحداسة الوحى :

فما ينكر من القذف بالشهب وغيره ما فيه التعجب ؟! هل ذلك ممن يقدرُ عليه إلا كغيره مما هو فيه ، وقد زيد به فى هذا مَن من الجن اهتدى ، وتجنَّبَ طرق الضلالة والردى [١] ، وكان فيه منعٌ لتوكيد كذب الشياطين ، ودفعٌ عن الرسول لتصديق أقوال المكذبين ، والله يقولُ لرسوله ؛ صلى الله عليه وعلى آله ، فى السورة نفسها ؛ ومع ذكر الشياطين وحرسها : [٢] ﴿ **قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)** ﴾ [٣] بغيرها ، وكل ما كان به كائنُ الهلكة ، فهو أمرُه بالملائكة ، أو غير الملائكة .

* لمَ لم يخلق خلقه كلهم أبراراً ؟

فإن قال : ألا خلقَ الناسُ أبراراً ، ومنعهم أن يكونوا أشراراً .

فمسألة من سأل عن هذا ، محالٌ ، وليس لأحد علينا فى هذا مقال ؛ لأنه [٤] إنما يكون البرُّبراً ما فعله فاعله [٥] متخيراً ، وأما ما جُبر عليه صاحبه جَبْراً ؛ فلا يكون منه خيراً ولا شراً ، وفيما قال أن يكون الإنسان إنساناً [٦] ، والإحسان إحسانا ؛ (لأن الإنسان لا يكون إنسانًا إلا وهو مملّكٌ مختار ، والإحسان لا يكون إحسانًا) ، [٧] إلا ولم يحمل عليه اضطراراً [*] .

* ما سبب ظفر أعداء الله بأوليائه ؟!

وأما قوله فى ظفر أعدائه ، فى بعض الحالات ، على أوليائه .

وأما قوله : فى القتال وأنزل [٨] ملائكته ، فإذا غلبوا عدواً قال : أنا غلبتُه ، أو غُلبَ [٩] له وليٌّ . **قال** : أنا ابتليته !

---

(١) فى س : الردى والضلال .
(٢) سقطت من بعض النسخ .
(٣) سورة الجن : الآيات من ٢٥ – ٢٨ .
(٤) فى س : لا أنه .
(٥) فى س : صاحبه .
(٦) زيادة من د . يستقيم المعنى بغيرها . (.. لا إنسانًا والإحسان إحسانًا لا إحسانًا) !
(٧) زيادة من س.
(*) فى المطبوعة : اضطرار .
(٨) فى الأصل : وأنزل .
(٩) فى د : وإذا غلب .

فما أنكر – ويله – من «أنا غلبته» وقد [1] قاتلَتْ معه ملائكته [*] ، وقد قَذفَ بالرعب فى قلوبهم ، وبث [2] الرّعب فى مرعوبهم [**] ، وما ينكرُ من قتلهم – ويله – بالملائكةِ ، وهل ذلك بهم إلا كغيره من كل هلكة ؟!..

إلا أن ملائكةَ الله فى ذلك متعبدةٌ مثابةٌ ، وأنه ؛ جل ثناؤه ، بالملائكةِ لأعدائه معاقبة ، وأنه لأوليائه عزٌّ ونصرٌ ، ولأعدائه ذل وكرٌ !!

* **لله أن ينصر أولياءه بما يشاء :**

فإن قال : ألا قتلهم بما هوأوجى ، وأجتاحهم بغير القتل اجتياحًا .

فهذا إن دخل علينا له دخل فى الملائكة ، دخل فى غيرهَ من كل هلكة ؛ حتى يقال فى كل واحدة [3] بعينها ، ألا كان الأمر (بل الحكمة معه قائمة موجودة ، والأفعالُ فيه منه عدل محمودة ، ألم تسمع حكيم الحكماء ، وأقدر قادرى العظماء يقول فى هذا من نصره وخذله وقدرته ، سبحانه ؛ وعدله : ﴿ **إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا** [4] **الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (١٦٠) ﴾ [5] يخبر عن أنه متى حبس عنهم نصره ، جلَّ مع حبسه خذله ، فمن لم يخذله [6] ؛ سبحانه ؛ أولئك هم المنْصَرون ، ومن خذله فلم ينصره ، فأولئك هم المبتلون .

فما فى هذا مما ينكره عقلٌ ، أو يفسد فيه من الله فعلٌ ؛ سبحان الله ، ما أحق فيمن [***] جهل هذا شبه البهائم التى مَثَّلهَا ؛ جل ثناؤه ؛ بأهل الجرائم!) [****] .

أفليس – ويله – بموجود من قولنا صحيح ، يعلمه كل أعجمى منا أو فصيح ، أن أولياءه لم تَغلبْ إلا بنصره ، ولم تُغلَبْ إلا بمخالفتهم أو بُغضهم لأمره ؟!

* **قدرة الله نافذة فى نصر أوليائه . وخذلان أعدائه :**

والدليل على ذلك أنه لما أمسك عنهم نصره لماكان من عصيانهم ، كان ذلك هو

---

(١) فى ب ، د زاد : قد .
(*) إشارة إلى الآية ٩ : من سورة الأنفال .
(٢) فى ب : ثبت .
(**) إشارة إلى الآية ٢ : من سورة الحشر .
(٣) فى أ : واحد .
(٤) فى س : ذى .
(٥) سورة آل عمران : آية ١٦٠ .
(٦) فى س : لم يجد .
(***) فى المطبوعة : فى من .
(****) من أول قوله (بل الحكمة .. إلى آخر هذه الفقرة) كان من حقه أن يأتى بعد قوله .. (معه لحكيم) فيما يلى .

بعينه سبب خذلانهم ، وأنه من فقد سبب ما به الغلبة غُلب ، وأنه غير مستنكر ذلك من أفعال [١] حكيم بملكه ، أن يعصيه من أعطاه [٢] إياه فيمسكه ، فيفقد فيه من نصره ماكان يجد ، ويتغير الأمر به إذا عصى عما كان يعهد ، فمتى نصر الله له وليّا فبرحمته ، أو تركه من النصر **فبضرب من معصيته** ، **وهذا من الأمر** فلا تزول به عن قدير قدرة ، ولا تفسد معه لحكيم حكمة .

*** الله هو الرامي :**

٣٦ و / وأما قوله : ﴿ **إذ رميت ؛ ولكنى أنا الذى به فى قلوبهم** ﴾ [٣] فهى فيما أرى ؛ والله أعلم ؛ مما قد يجوزُ فى اللسان / ويعلم : أنك لم ترمِ بالرُّعْب فى قلوبهم (إذ رميت ؛ ولكنى أنا الذى به فى قلوبهم) [٤] رميت [٥] ؛ وبالرعب الذى قذفه الله فى قلوبهم انهزموا ، لا بالرمى بالبطحاءِ إذ رموا .

ومثل ذلك من الله ، لا شريك له ، قوله : ﴿ **وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾** ﴾ [٦] فما ينكرُ من القدير على الأشياء ، أن يفعلَ ما يقدر عليه ، من الرمى ؟! ما ينكر هذا إلا أحمق ، ولا يدفعُ هذا من الله محقٌّ ، والله على هذا ؛ وخلافه ؛ يقدرُ ، وكذلك قدرتُه فى أن يخذلَ وينصرَ ، وما صحت [٨] فى فعله لقادرٍ [٩] قدرةٌ ، فغيرُ مستنكرٍ أن يكونَ له حدَّةُ مفتعله ، وإلا كان معنى القدرة عليه باطلاً ، إذ ليس يُرى ، بها القادرُ طول [١٠] الدهرِ ، فاعلاً .

*** إثبات قدرة الله وعدله :**

فإن قال قائل : فما تقولون [١١] هل يقدرُ اللهُ على أن لايُدخلَ المتقين الجنان ، ولا من كفر نعمتَه [١٢] وأنكره ورسله ، النيران ؟

---

(١) فيما عدا س : فعال .
(٢) فى د : الطاعةو .. «وإياه» زيادة منها .
(٣) سورة الانفال : آية ١٧ .
(٤) زيادة من : س ... و فى ب : زاد به .
(٥) فى س : رميت بها .
(٦) سورة الأحزاب : الآيتان ٢٦ – ٢٧ .
(٧) جاءت فى أ ، س مضطربة .
(٨) فى أ : ضحت .. وفى ب ، س : صحب .
(٩) فى س : لفاعل .
(١٠) فى س : طويل .
(١١) فى س : تقول .
(١٢) فى ب : نعمه .

– **قيل** : قديماً كان [١] ، ولم يُدخل واحداً [٢] من الفريقين مُدْخله ، وإنما [٣] القدرةُ على أن يدخل ولا يدخل ، فقد ما فعله ، فقد كانوا قديمًا ولم يُدخَلُوا ، ولابدَّ بعدُ أن يُدخلوا ، فقد كان المقدورُ عليه من لم يدخل وسيدخل ، فافهموا ما قلنا عنّا ، وضعوا الفهم فيهِ حكمًا بيّنًا [٤] .

*** قتل أعداء الله لأوليائه أمر يرجع لأصل الطبيعة الإنسانية :**

وأما قوله : «فقتلَتْ أعداؤه أنبياءهَ ورسلَهَ » . فما ينكرُ من قتلهم لهم ؟!.. قاتلَه الله ولعنه ، لو لم يُقتلوا لم تجبْ لهم من الكرامةِ عنده ماأوجبه ، ولم يدركوا ثوابَ ما كان القتلُ فيه سببَه ، ولو كان له علينا فى قتلهم مطلب ؛ لكانَ فى موتهم .

ولو دخل علينا بقتلِهم وموتهم ، لدخلَ علينا فى أصلِ الفطرةِ لهم ؛ والفطرةُ لا يكون فيها من الحكمةِ ما فيها ، إلا بموجودِ البنيةِ ، التى بُنِيَتْ عليها [*] ، وفيما وصفنا منه ، وأنبأنا به عنه ، ما أوضحه ، ووضح به فصحه [٥] .

والحمد لله رب العالمين كثيراً ، وصلى الله على محمد النبى وآله وسلم تسليمًا [٦] .

* * *

*** وأما قوله** : « فأجَّلَ عدوّه إلى يوم يبعثون » .

*** أمهل الله عباده ليعرف المطيع من العاصى :**

فهو وأصحابه فى هذا يلعبون ، كما لم يزالوا يلعبون [٧] ، ولو فسدَ فى التأجيل طول تأخيرِه ، لفسدَ فى ذلك أقصر قصيره !

فليت شعرى – ويله – لمَ تقابح هذا وأنكره ، وهو لو لم يُبقِ لم يعص ولم يُطعْ ، ولولا المعصية والطاعة لم يخلق ولم يصنع .

*** فساد الأبدان أو الأديان يرجع للإنسان :**

*** وأما قوله** : « وأمرض خَلْقه وعذَّبهم بما عرضَ من الأسْقَامِ لهم » .

---

(١) زاد فى ب : كان .
(٢) فى س : أحداً .
(٣) فى أ : واما .
(٤) فى أ ، ب : بيننا .
(٥) فى ب : فصحه .
(٦) زيادة من أ ، س .
(٧) العبارة زيادة من : س .
(*) وبعدها فى نسختنا : (وكذلك ما قد فرغنا من الجواب فيه ، ودللنا بآيات الله فى الحكمة عليه) .

فلعمرى ، لقد وَفَّاهم ؛ سبحانه ؛ طبائعهم مفصلة ، وسَلَّمها إليهم مكملةً عن هلكاتِ العصيان ، وشين معائب النقصان ، فما دخلَها من سقم بدنٍ ، أو فساد متدينٍ ، فبعدَ اعتدالِ تركيبها عن كل نقص من معيبها ، وما فسدَ لهم من دين بعصيانٍ [1] ، فبعدَ هدىً من الله وبيان ، وتخييرٍ فى الطاعةِ وإمكان .

فما فى الذى ذكر ؛ وفُتِنَ فيه فأكثرَ ؛ مما يُدخلُ له أو لغيره علينا ، أو يجد به أحد مقال تعنيف فينا ؟!

كأنَّ كلامه – ويله – وأحكامهَ ، كلامٌ لم نزل نسمعهُ من شُطَّارِ أهل السجون ، أو كأنما قبل آدابه عن سفلةِ أهل المجون ، بل كأنه مجنونٌ مصابٌ ، لايحقُّ له جزاءٌ ولا عليه عقابٌ !!

ومتى قيل له – قاتله الله وقتلَه – ما زعم وقال ، وهذى به وهذر ؟!..

إذ سأل : «إنه أصمَّ خلقَهُ ؛ من حيث ظنَّ ؛ أو أعمَاهُم ؛ كما توهم ؛ أو جبرَهُم على عصيانه ، أو حال [2] بين أحدٍ وبين إيمانه ، أو أنه هو أمرضَهُم ، أو عذَّبَ بغيرِ ذنبٍ بعضَهُم !! .

*** الله لا يضل عباده ولا يعذبهم بغير ذنب :**

بل نقول : هو أسمعَهُم بالدعاءِ نداءَه ، ونوَّر أبصارَهُم بنور هُداه ، ومن مرض منهم ، فمن الله يطلُب شفاءَه ، وإذا ابتلى ببلاءٍ فهو ؛ سبحانه ؛ الذى يكشف بلاءَه .

ألم يسمع – ويله – الله ، تعالى ، وقوله عن أيوب ، نبيه المبتلى ؛ عليه صلوات الربِّ الأعلى [3] ؛ : ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤)** ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣)** ﴾ [5] .

---

(١) فى س : العصيان .

(٢) فى س : أحال .

(٣) فى س : صلوات الله عليه .

(٤) سورة الأنبياء : الآيات ٨٣ – ٨٤ .

(٥) سورة ص : الآيات ٤١ – ٤٣ . ولقد جاءت الآيات مضطربة فى الأصل .. ولذلك أثبتناها كما جاءت فى القرآن .. والشاهد فيها أن أيوبَ ، عليه السلام ؛ لم ينسب ضراً ومرضاً لله ، وعندما دعا ربه ، أن يرفع عنه ما المُ به ، جاءته المعونة والإجابة ، رحمةً من الله به ، بما يتناسب مع جلال الله ورحمته .

أو ما سمع قول إبراهيم ، فيما نزَّلَ اللهُ من القرآن الحكيم ؛ فيما ذكر عن الله ؛ لمرضه [١] إذ مرض ؛ من الشفاء ، وأضاف إلى نفسه من الغفلة والخطأ [*] ، إذ يقول ؛ صلى الله عليه وسلم [٢] : ﴿ **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)** ﴾ [٣] .

* **وأما قوله** : « وكل خلقه دَمَّر [٤] تدميراً » .

فلقد أنكرَ – ويله – من تدميرهم ، ما لم يجعله الله نكيراً ، عصيانهم لله ، مستحقُ الطاعة ، ظلماً واعتداءً ، ومجانبتهم لما جعل الله لهم به النجاة والهدى ، هو الذى به هلكوا ودُمِّروا ، بعد أن بصَّرَهم الله منجاتَهم فلم يُبصروا ؛ إلا أن يكونَ يتوهّم ، أن يكون هو الذى حملهم على العصيان وجبرهم [٥] !

* **الله لا يجبر أحداً على طاعة أو معصية** :

فكيف – ياويله [٦] – وهو الله الذى مكَّنهم فيه وخيَّرهم ، وما جبرَ [٧] أحداً ، تعالى ، على إحسانٍ ، فكيف بجبرِه [٨] له على عصيانٍ ، ولم يسخط ما قضى ، ولا رضى إلا بما فيه الرضى ، ولم يغضب له من فعال ، ولم يتضادّ بحال ، ولم ينازل عدوًّا بقتال ، ولم يمثل فى شئ بمثال ، وإذا مرَّضَ خلقة شَفاهم ، أو تعاموا عن الهدى آراهم ؟!!

فيا غباء [٩] من جهلَه ، وأنكر حقَّهُ وعطَّلَه !.. لو كان الله ؛ سبحانه ؛ صحابًا لوجب حقّه ، فكيف والخلق خلقه ، وهو خالق الخلق ومبتدعه ، والمحسنُ إليه فى كل حال ومصطنعه ، ومن لم يُدبْر عنه بإحسانه ، حتى أدبر ، ولم يغّيرْ ما به من نعمه ، حتى كفر ، كيفَ ، وهو من عصاهَ ، استرضاه ، ومن استكبرَ – وهو القادر عليه – أملاه ، ثم كرَّرَ فى دعواه الهدى نداءه ، ثم من قبل خطأه [**]

---

(١) فى س : وأرضه .
(*) فى المطبوعة : الخطاء . .
(٢) لم ترد فى س
(٣) سورة الشعراء : الآيات ٧٨ – ٨٢ .
(٤) فى ب : دمّره .. وفى س : دمرنا .
(٥) فى س : خيّرهم .
(٦) فى أ : ويله ٥٦ .
(٧) فى س : أجَبر .
(٨) فى الأصل : يجبره .
(٩) فى المطبوعة : عبا .
(**) فى المطبوعة : خطه .

فيه جازاه ، ومن أبى عطيته من الخيرات حرمه ، وهو الذى قبح (*) من كل ظالم ظلمه !

فياويل من جهل إحسانه ، وركب فى الكفر عصيانه ، ماذا جهل من إحسانٍ كثير (١) لا يحصى ، ومن عصى إذ إياه عصى ، فمن أولى منه ؛ جل ثناؤه ؛ بالعبادة والتعظيم ، فيما دعا إليه من الطاعة له والتسليم ، وهو الله الهادى إلى سبيلِ النجاة ، والمنعمُ بنعمه التى ليست بمحصاة .

* **فإن قال قائل** : « ومن أين تدرى أن هذه نعمة ، وأن محدثها إحسانُه وكرمُه ؟! » .

* **كل نعمة من الله .. وهى على وحدانيته شاهده :**

فليعلم أن كل مايُرى منها ، نعمٌ بَيِّنٌ آثارُ الإنعامِ فيها ، تحكمُ بصحيح أثره (٢) العقولُ عليها ، وأنه لابدَّ فى فطرة العقول ، وما وجدَ فيها ولها من المعقول ، من أن ٣٧و/ يكون (٣) لهذى النعم مولاً أولاها ، / هو الذى فطرها وأنشأها ، وأنه لا ينبغى أن يكون موليها ، كهى فيما (٤) أبان من أثرِ الصنعة عليها ، وأنه لا يوجدُ شئٌ غيرها ، إلا وجدت فيه الصنعةُ وتأثيرُها ، حتى ينتهىَ ذلك إلى من لا يشبهُه مصنوعٌ ، ومن كل الأشياء (٥) فمنه بدعٌ مبدوعٌ ، وأنه اللهُ الأولُ القديمُ ، الملكُ القدوسُ الحكيمُ .

فإذا صحَّ ذلك عند من يعقل بإشهاده (٦) ، علم أن النجاةَ من الله لا تكونُ إلا بإرشاده ، الذى نزَّلَ ، فيما أوحى من كتبه ، ودلَّ على النجاة فيه بسببه ، فالحمد لله ، وليُّ النعمةِ فى الأشياء ، والمتولى لنجاة من نجا بهداه من الأولياء ، الذى ليس له أكفاءٌ فتساويه ، ولا شركاءُ فى الملكِ فتكافيه ، المتبرئ من كل دناءة ، المتعالى عن كلِّ إساءة ، ربُّ الأنوار المتشابهةِ فى أجزائها ، وولى تدبيرِ الظلم وإنشاءه ، العلى الأعلى ذو (٧) الأمثال العلى ، والأسماء الحسنى ، شاهدُ كل نجوى ، ومنتهى كل

(*) فى المطبوعة : فتح ، وما أثبتنا فى الأصل .
(١) زاد فى س : من .
(٢) فى س : آثار .
(٣) فى س : فمن أين يكون .
(٤) فى س : وإنما .
(٥) فى ب ، د : ومن كل شئ .
(٦) زيادة من : ب .
(٧) ربما كان الصحيح : ذى .

شكوى ، والممهلُ المطيل ، ومن لا يعدُل من الأشياء كلَّها بعديل ، فكلُّ ذى خبرٍ محمود ، أو منسوب إلى كرمٍ أو جود ، فاللهُ . مبتدئُ فطرةِ محمودهِ ، والسابقُ الأولُ بما حمدَ من جودهِ !

فأين قولنا – ويله – مما أدّعاه ويقوله ؟!.. سبحان الله ؛ ما أشد سفهه وأجهله !.. لقد لعنه الله ، وأضلَّ عقلهَ ، ولولا أنى سمعتُ الله ، لا شريك له ؛ يقول : ﴿ **أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ** ۝ ﴾ [١] ويقول ؛ سبحانه : ﴿ **أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك عم الغافلون** ﴾ [٢] ثم لم يترك [٣] مع ذلك تذكيرهم ، وبعث مع ذلك فيهم نذيرهم ، لما رأيت ، لمن ذهبَ مذهبه ، وتلعَّبَ فى القول متلعّبه ، منازعةً ولا إجابةً ولا تذكيراً ، ولظننههم ؛ إلا ما شاء الله ؛ فى العقول بقراً أو حميراً !!

* **أرأيتم** [٤] **حين يقول** : «ولا يغلب أحد إلا بالخيل والسلاح» !

إنه ليطمحَ فى الخطأ – ويله – أى صُماح ، أترونه إنما يظنُ تغالُبَ البهائم ، أو غلبة الناس للأبل الجلَّة [٥] الصلادم [٦] ، وأرتباطهم للفيلة بالأمراسِ [٧] ، وفرع سُوَّاسُها لرؤوسها [٨] بالأجراسِ ، إنما كان منهم بخيلٍ وسلاحٍ ؟!!

ويله ؛ إنه لجمحٌ عن الحق أى جماح !..

ولئن كان يظنُّ أن الناسَ أقوى من الملائكة ، إن هذا [٩] فى الظن لأهلك الهلكة ، وقد بلينا فى جواب ذلك لهم وفيهم ، ومن غلبة الأولياءِ بالله لعّدوهم ، وظهورهم عليه [١٠] ما فيه بيانٌ كافٍ ، وعبرةٌ واضحة لذى [١١] إنصافٍ .

* **وأما قوله** : « يقاتل على الملك والدنيا » .

فكيف – ويله – يقاتلُ على الملك والدنيا ، وطلبَ العزَّ فيها والكبرياءَ ، من كان

---

(١) سورة الزخرف : آية ٥ .
(٢) سورة الأعراف : آية ٤٦ .
(٣) زيادة من : س .. وفى الأصل : يذكر .
(٤) فى س : أرأيت .
(٥) فى س : الخيلة الصادم .
(٦) العنيدة ، التى لم يسلسل قيادها بعد .
(٧) الحبال .
(٨) زيادة من س .
(٩) فى أ : هذى .
(١٠) فيما عدا س : عليهم .
(١١) فى س : لذوى .

لباسُهُ فيها مع جوده ، لملكها الشَّعرَ والوبرَ والعباءَ والصوفَ ، وشعارهُ فيها ، والناسُ شباعٌ آمنون الجوع والظمأ (*) والخوف !

وما الملك (١) ممن يظلُّ نهارُه وليلُه خاشعًا باكيًا ، ومن يسيح فى الأرض على قدميه حافياً ، يدعو من هلكَ من أهلها إلى النجاة (٢) ، وينادى من ماتَ عن الهدى إلى الحياة ، ومن هو أعزُّ مايكون مفارقًا (**) لأحوال ملوك الدنيا وأغنيائها ، ومن لايُرى متكبراً عن مساكين العامة وفقرائها ، يقف عليها ، ويُرى واقفًا فيها ، ويأكلُ معها إذا أكلَتْ ، ويجيبُها إذا سألت ، ويعودُ مرضاها ، إذا مرضَتْ ، ويشهدُ موتاها إذا ماتت ، فأين هذا كُلُّهُ ، وفرعُ هذا وأصلُهُ ، من أحوالِ الملوكِ التى تتكبرُ عن أبائها ، ولا تنظرُ تَجبُّرًا إلى (٣) بعضِ أبنائها !!..

ما أشبه بَعضُ (٤) ابن المقفعِ ببعضٍ ، وما أحسبُ (٥) له فى المكابرةِ نظيراً من أهلِ الأرض .

*** موقف ابن المقفع من تصديق الرسول :**

* **وأما قولهُ قول الزور الباطل** : «وأخرجَ - زعم - سلطانَ الجاهل ؛ الذى يَسَّرَ عليك الجهالة ، ويأمرك ألا تبحث ، ولا تطلبُ ، ويأمرك بالإيمان بما لا تعرف والتصديقُ بما لا تعقل ، فإنكَ - زعم - (٦) - لو أتيتَ السوقَ بدارهَمكِ تشترى بعض السلع ، فأتاكَ الرجلُ من أصحابِ السلع فدعاكَ (٧) إلى ما عنده ، وحلف لك إنه ليس فى السوق شئٌ أفضلُ مما دعاكَ إليه ؛ لكرهتَ أن تصدقَه ، وخفتَ الغبنَ والخديعة ، ورأيتَ ذلك ضعفاً وعجزاً منك حتى تختارَ - زعم - على بصرِك ، وتستعين بمنَ رجوتَ عنده معونة ونصراً» .

فمن - ياويله - الذى يخاطبُ ويسأل ، ومن الذى يخشى أن يُخدعَ ويجهلَ ، النورُ الذى لا يجهلُ - زعم - فيعودَ شراً ، أم الظلمةُ التى لا تكونُ إلا خديعةً ومكراً ؟!!

(*) فى المطبوعة : الظماء .
(١) فى ب : وأما الملك فمن .
(٢) زيادة من س .
(**) فى المطبوعة : مفارق .
(٣) فى س ؛ زاد : من .
(٤) زيادة من س ، د .
(٥) فى س : اكسب .
(٦) زيادة من س .
(٧) فاتاك : فى س .

سبحانه الله ،ما أشبه أمثاله بعقله ، وما أوجدَ شبهَه فى الدناءة [١] بفعله ، أمحمدٌ – ويله – صلوات الله عليه ؛ كان يدعو إلى شئ مما كذبَ عليه فيه ؟! معاذ الله أن تكونَ تلك كانتْ – قطُّ – من آدابه ، ومما نزلَ عليه فى كتابه .

*** الإسلام دعوة للمعرفة والبحث :**

أم هو [٢] – يا [٣] ويله – يحملُ على خلاف ما يعرفُ ، وإنما جاءَ النبى [٤] ؛ صلى الله عليه [٥] ؛ يدعو إلى المعارف ، أو يأمره ؛ عليه السلام [٦] ؛ بالكفِّ عن الطلبِ والبحث ، وهو الكاشفُ عن أسرارِ الغيوب لكلِّ مبتحثٍ ؟!

*** عمله ﷺ بما دعا إليه :**

أو هو يرضى دناءة الخدع وقبائحها ، أو يقاربُ الأسواءَ [٧] وفضائحها ، ولم يقبِّحْ أحدٌ من الخلق السيئات بأكثرَ مما قبَّحَ فى الدلالة على الخيرات ، أشد مما نصح ، ولم ينادِ بإظهارِ أمره أحدٌ قطَّ ، كما نادى ، ولم يزعُ من الكشفِ للحق [٨] ما إليه دعا .

أما سمعه – ويله ما أكذبَ قيله – وهو يقولُ ؛ صلوات الله عليه ورضوانه ؛ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤)** ﴾ [٩] ؛ ويقول الله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)** ﴾ [١٠] ؛ ويقول سبحانه : ﴿ **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)** ﴾ [١١] .

وإنَّ دعوى ابن المقفع هذه فيه ، لما [١٢] لم يدَّعه – قطُّ – مدعٍ عليه ، لا ممن أجابه فاهتدى ، ولا ممن صدَّ عنه واعتدى [١٣] ، ولكنى أحسبُ أن [١٤] ابن المقفع هَذَى ،

---

(١) فى س : دنياه .
(٢) فى س ، د : أهو .
(٣) زيادة من ب ، د .
(٤) زيادة من س ، د .
(٥) زاد فى أ : وآله .
(٦) فى س : صلى الله عليه .
(٧) فى س : الأسوى .
(٨) فى س : لكشف الحق إلى ، وفى ب : إلى كشف الحق .
(٩) سورة يونس : آية ١٠٤ .. وورد فى س المسلمين بدلاً من : المؤمنين .
(١٠) سورة آل عمران : آية ٦٤ .
(١١) سورة يونس : آية ٣٥ .
(١٢) فى د : لما .
(١٣) فى ب : يلحدا .
(١٤) موجودة فيما عدا س .

وألقى الشيطان على لسانه ما تمنى ، فجعلَ ظنه عليه يقيناً ، أو كابرَ من وجد قوله بيناً [1] .

* **الدفــاع عــن الرســول ، ﷺ :**

كيف – يا [2] ويله قاتله الله وقتله – يكون كما افتراه ، أو على [3] ما ادَّعاهُ ؟! .. والله يقول سبحانه : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾** ﴾ [4] ويقول سبحانه : ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾** ﴾ [5] ويقول سبحانه : ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾** ﴾ [6] فهل دعا أحدٌ إلى إخلاصِ [7] الفكرِ [8] دعاءَه ، أو حَدى أحدٌ من الناسِ على النظرِ حداءَه ؟!

ما يبلغُ كذب ابن المقفع فى الكلام ، كذب أضغاث أحلام [9] .. طلب – ويله – فى الكتاب [10] من التعنيف ، ونكلٌ فى عيبه [11] من التكاليف [12] ، ما لم تطقه قبله عفاريت الشياطين ، فكيف به ، وأيما [13] هو مجنونٌ من المجانين ؛ أما سمع قول الله سبحانه : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾** ﴾ [14] ، وقوله سبحانه : ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾** ﴾ [15] .

* **فى ذم الإســلام والدعــوة للشعوبيــة :**

* **وأما قوله :** « فلا نعلم ديناً ، منذ كانت الدنيا – زعم – إلى هذا الزمان ، الذى حانَ فيه انقضاؤها ، أخبثَ زبدةً كلما مُخِّضَ ، وأسفهُ فى ذلك التمخيض أهلاً وأبترَ أصلاً ، وأمرَّ ثمراً وأسوأ أثراً على أمَّته ، والأمم التى [16] ظهر عليها ، وأوحشَ سيرةً ، وأغفل عقلاً ، وأعبد للدنيا ، وأتبعَ للشهواتِ من دينكم » .

---

(١) زيادة من س .
(٢) زيادة من : ب .
(٣) فى س : أو على شئ .
(٤) سورة سبأ : آية ٤٦ .
(٥) سورة الأعراف : آية ١٨٥ .
(٦) سورة يونس : آية ١٠١ .
(٧) زيادة فيما عدا س .
(٨) فى د : الفكرة .
(٩) فيما عدا س : الأحلام .
(١٠) فى س : الكلام .
(١١) فى ب : عليه .
(١٢) فيما عدا س : الأكاليف .
(١٣) فى أ : وأما .
(١٤) سورة الإسراء : آية ٨٨ .
(١٥) سورة البقرة : آية ٢٣ .
(١٦) فى ب : الذى .

*** فضائل الإسلام :**

فلقد قال – ويله – فى هذا من أصول ديننا وفروعه ، ومفرقِ حكم دين [1] الله ومجموعه ، بما [2] لا يخفى كذبُه فيه ، عمَّنْ حكم بأقل الحقِّ عليه ، وأىُّ دينٍ أحسنُ نظامًا ، وأعدلُ أحكامًا ، وأقلُّ تناقضًا ، وأرضى رضىً ، من دينٍ قامَتْ دعائِمُهُ ، واعتدلت قوائمه ، على الأمرِ فيه بالعدلِ والإحسانِ ونَهَتْ نواهيه عن كلِ فحشاء أو عدوان [3] ، فلم يترك لمحسنٍ ثوابًا ، ولم يضعْ عن مسيءٍ فيه عقابًا ، بمقاديرَ من قسطٍ عادلة ، وموازينَ من عدلٍ غيرِ مائلة ، لولاه لفسدَتْ الأرضُ خرابًا ، وعُدِمَتْ الصالحاتُ ذِهاباً !..

*** فى ذم حكام الجور والظلم :**

ولكنى أراه ظنَّ ديننا ، وتوهم أحكام ربنا ، أحكام معاوية بن أبى سفيان [*] ، وما سَنَّ بعد معاوية ملوك بنى مروان [**] ، من تناقضِ أحكامها ، وجورها فى أقسامها ، أولئك فأعداء [4] ديننا ، فالحكم الذى لم يخالطه قط جور ، وأموره من الله فالأمور التى لا تشبهها أمور ، ويحق بذلك أمر وليه[5] أحكم الحاكمين ، وحكم جاء من رب العالمين .

*** ابن المقفع يذم الرسول ﷺ :**

* **وأما قوله** : « رجلٌ من أهل تُهامةَ » ... فإنما هو ضرب من العجامة ، وما فى هذا – ويله – ما أشد عتوِّه وكفره ، أتهاميًا كان ؛ عليه السلام ؛ أو شاميًا ، أو مغربيًا كان من الناس أو مشرقيًا ، هل هو إلا بشرٌ آدمىٌّ ، بعثه الله إلى كل

---

(١) زيادة من : ب .

(٢) فى د : ما .

(٣) فى س : وعدوان .

(٤) فى س : أعداء.

(*) معاوية بن أبى سفيان بن صخرة بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ولد سنة ٢٠ ق هـ ، أسس الدولة الأموية فى الشام ، داهية فصيحًا حليمًا ، أسلم فى الفتح وكان من الكتاب والولاة ، وحارب عليًا بدم عثمان حتى قتل على فى سنة ٤١ هـ ، فتسلم الخلافة من الحسن بن على وتوجه لقتال الروم برًا وبحرًا وانتصر عليهم إنتصارات باهرة ، توفى سنة ٦٠ هـ . انظر الأعلام للزركلى ٧ / ٢٦١ .

(**) أى من نسل مروان بن الحكم ت ٦٥ هـ وأولاده ، معاوية ت ٦٤ هـ ، وهم عبد الملك ت ٨٦ هـ وعقبه .

(٥) فى س : وليله .

فصيح وأعجمي ؟!.. كما قال سبحانه ؛ أجزل اللهُ له كرامته ورضوانه [١] : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [٢] .

هل هو إلا رسولُ الله [٣] ؛ صلى الله عليه [٤] ؛ بعثَه الله إلى الإنسان ، وإحسانٌ من الله وهبه [٥] عباده لا كالإحسان ، أرسلَه ؛ سبحانه ؛ بهداه مبتدئًا ، إلى أولى الخلق بأن يكونَ مهتديًا ، إلى الملأ من عشيرته ، وفى ولد إبراهيم وذريته ، وإلى أبناء قحطان من خيرته ، وهم الذين كانوا فى كفرهم ، أو في أهل الكفر لمن عاهدوا عهداً ، وأكرمهم [٦] لمن وأدُّوا ودًّا [٧]، وأحسنهم لمن تحرَّمَ بهم تحرُّماً ، وأحفظهم إنكارًا ، وعن كل دناءة خُلقٍ استكبارًا ، وأشدهم لله إعظامًا ، ولحرم بيته إكرامًا ، والذين يقول عنهم ، فيما ذكر منهم ، في عبادة ما كانوا يعبدون معه من الأوثان ؛ تقربًا بعبادتهم لذلك إلى الرحمن : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [٨] .

أما سمعت قول الله فيهم ، وفيما ذكر لعباده من تمنيهم : ﴿ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [٩]؛ يقول سبحانه عنهم خاصًّا دون الخلق ، فى تمنيهم دون جميع أهل الأرض لدين الحق : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴾ [١٠] .

* **وأما قوله** [١١] فى آيات المرسلين ، وتمثيله لها بسحر الساحرين ، فغير بدعٍ بحمد الله منه ، وقيله ما قال إخوانه من الكافرين [١٢] فيها قوله ؛ أما سمعتم قول فرعون وملائه عندما رأوا من نور الحقِّ وضيائه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [١٣] ؛ ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ [١٤] فبينا هو يقول [١٥] : ﴿ يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ﴾ [١٦]؛ إذ قال [١٧]:

---

(١) زيادة من : س .
(٢) سورة فصلت : آية ٦ .
(٣) زادها فى د .
(٤) زاد فى أ : وآله .
(٥) زيادة من س .
(٦) فى أ : واكرامهم .
(٧) فى س : واد وداً .
(٨) سورة الزمر : آية ٣ .
(٩) سورة الصافات : الآيات ١٦٧ – ١٦٩ .
(١٠) سورة فاطر : آية ٤٢ .
(١١) زاد فى س : عليه اللعنة .
(١٢) فى س : الكفرين .
(١٣) فى س : هذان .
(١٤) سورة الاعراف : آية ١٠٩ .
(١٥) سورة طه : آية ٦٣ .
(١٦) فى س : إذ قال زيادة على النص .
(١٧) سورة الزخرف : آية ٤٩ .

﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ ﴾ [١] ؛ ولعمرى لو كان موسى ومحمد ؛ صلى الله عليهما [٢] ؛ ساحرين ؛ عندهم وفيهم ؛ لكانَ ذلك بيِّنا جليًا لديهم ، لا يخفى منه شئ عليهم ، كما كان يبين لهم سحر السحرة والكهان ، فيوقنونه منهم بحقيقة الإيقان ، ولا يدعون سحرهم جنونًا ، ولا ساحرهم مسحوراً ، تخليطًا وعتها ، وعمايةً وعمهًا ؛ هذا لتعلم أن قولهم فيه لم يكن إلا كذبا وافتراء ، وإن السحرلم يكن عندهم ، ما يشك فيه ولا يمترى .

كيف – ويله وويل أسلافه ، ومن تبعه بعده من أخلافهم وأخلافه – يُسمَّى سحراً أو جنوناً ، لما [٣] يملاء بطوناً وعيونًا ، وترى آثاره اليوم إلى الدهر الأطول دائمة ، ومواقعه فى بطون الآكلين والشاربين من الظماء والجوع باقية ، ما هذه بطريقة السحر المعروف ، ولا يعرف السحر بوصفٍ من هذه الوصوف ؛ إلا أن يكونَ فى موقه [٤] وعماه ، وشدّة تباعده عن هداه ، يبصرُ اليوم من السحر ما لم يكونوا يبصرون ، أو تظهر السحرة اليوم له منه ما لم يكونوا يومئذ يظهرون ، والسحر فيهم يومئذ [٥] ظاهر منشور [٦] ؛ وصاحبهم إذ ذاك عندهم مكرّمٌ مُجبور .

ومن أظهرَ اليوم السحر ، لم يكن له عند الأمَّة [٧] عقوبة إلا القتل ، ما أوضحَ الأمور ، وأبين الساحر والمسحور ، وليس فى هذا شغل ، لأحدٍ ممن يعقل ، مع أنك لم تَرَ قطَّ أحداً [٨] يسحرُ إلا وهو يعبث فى سحره ويسخر ، ولم تره وإن سحر إلا مسترذلاً ؛ وسفلة دنيًّا نذلاً .

* **وأما قوله** : « نافرَ اللهُ الإنسانَ ، فقال : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨ ﴾ [٩] – زعم [١٠] – لقرية أو لأمّةٍ أهلكها من الأمم الخالية » .

فما فى هذا – ويله – من نافر وافتخر ، لا . ولكنه أوعدَ ؛ سبحانه ؛ وحذَّرَ ، بما فيه لمن عقل مزدجر ، وعبرةً كافية ومدكر ، وهذه فمن لفاظاته الأولى ، وشبيهتهن فى الدناءة والعمى .

---

(١) سورة الحجر : آية ٦ .
(٢) فى س : عليه .
(٣) زيادة من : س .
(٤) فيما عدا س : مومه .
(٥) زيادة من س ... وفى د : والسحر يومئذ فيهم .
(٦) فى ب : مشهور .
(٧) فى س : العقوبة .
(٨) فى س : أحد :
(٩) سورة العلق آية الآيتان ١٧ – ١٨ .
(١٠) زيادة من : ب .

فياويله ، ما أغلب عَيِّه قول السفال والبهتان ، وأجهله [١] بما يدورُ بين أهله من هذا اللسان ، الذى لا يصابُ إلا به تأويل القرآن ، ولا يتبيَّنُ بغيره من الألسنِ ما يتبيَّنُ به من البيان ، فليعمل [٢] من أراده قبل ، بعلمه تفهُّمه [٣] ، ولا يحكم على القرآن بتوهمه ، فإن ابن المقفع إنما استعارَ أحرفه ، فأما معناها فجهله وحرَّفهُ ، سمع [٤] منا فى ذكر الله لفظاً ، فوعاه كما سمع حفظاً ، ثم ثبته إلى نوره وضلالته كذبًا ، فأنشأ يمدحُ به غيرِ الممدوح تلعبًا ، والمعانى منه فأعجمية ، والأسماء التى سمَّى فعربيةُ .

* **وأما قوله** : « انقلب وأنشأ » . فكلمتان ليس لهما فى اللهِ معنى ، لقبحِ [٥] مخرجهما ، وضلال منهجهما ، عن كلامِ أهلِ القدرِ والنهى ، وإنما قبلهما من الناس عن [٦] الطبقة السفلى .

ومن قال له – ويله – « انقلبَ » عليه خلقه ، وأنه « أنشأ » ؛ سبحانه ؛ يقاتله ، ويغالبه هذا [٧] – ويله – فما لم يقل [٨] به فى اللهِ قط منذ [٩] كانت الدنيا مقتصدُ ولا مفرط .

* **وأما قوله** : « عملُ يديه ، ودعا كلمتَه ونفخةَ روحه » . فكله منه على ما توهّمه زورٌ وبهتان ، وأكثرُ قوله فيه فهذرٌ وهذيان ، وليس فيما فتن فى هذا من قوله [١٠] ، لا فى قصره ولا فى طوله ، أكثر من أن الله أحدثَ صنعًا ، وأبدعَ لا شريك له بدعًا .

فإن قال قائل : ولم أوجد صنعه ؟!

* **علة خلقه للعالم** :

وأما [١١] العلةُ التى لها أبدع بدعه ، فهى الاختيارُ فيما أنشأ ، وإظهار حكمته فيما أبدى ، جودًا منه وكرمًا لا يشوبه حسد ، ولا يجب به إلا له حمد ، وكفى بهذا لصنعه [١٢] علّةً ، وفيما سألَ عنه جوابًا ومسالة .

---

(١) فى ؛ ب : أحمله .
(٢) فى ؛ أ : فليقبل .
(٣) زيادة من أ ، ب . وبهامش : س .
(٤) فى ؛ س : يسمع .
(٥) فى د ، س : لقبيح .
(٦) زيادة من ب ، س .. وفى د : عنه .
(٧) فى س : يقبل .
(٨) فى س : يقبل .
(٩) فى أ : مذ .
(١٠) فى س : فى قوله .
(١١) فى ب ، د : وما .
(١٢) فى س : بهذه الصعنة .

فإن سأل سائل ؛ أو قال قائل : فما باله [١] إذ كان الجودُ عندكم من علةِ صنعه وبريّته ، والجودُ فلم يزل عندكم من ذاته ، لم يحدثْ الصنعَ قبل إحداثه .

فهذا ضربٌ من غلط السؤال وأعياثه ، إذ كان الصنع كيف ما كان حدثًا ؛ وكان الله فى ذلك مُحدثًا ؛ فهذا جوابنا له فيما سأل ، إذ كان فى مسألته قد أحالَ ، والحمد لله رب العالمين ، وأول من أنعم من المنعمين .

* **وأما قوله** : « فصارت الغلبةُ للشيطانِ بأن تبعَه الخلائقُ على (ضلالته إلا) [٢] أقلهم » .

فياويله ، ما فى هذا من غلبته ؟!.. بل هبهم تبعوه على ضلالته ، فإنما [٣] تبعوه ومالوا إليه [٤] بأهوائهم ، وأطاعوه [٥] لعذابهم ، لا عن غلبة منه لهم ، فوالله ، ما غلبهم [٦] .. فكيف يغلبُ خالقَه وخالقَهم ، ومتى غالبَ الله الشيطان ، فغلبَ أو غُلب؟!..

يأبى ابن المقفع – ويله – إلا اللعب ، ولئن كان الشيطانُ غلب اللهَ بكثرة أتباعه ، لقد غلبَ الشرُّ نوره ، بكثرة أشياعه !..

ويله ؛ إنما يتبعُ الشيطانُ من أطاع هواه ، وعمى عن الله مثل عماه ، وسبله إلى الله ذُللٌ لواردها . وطريق نجاته بالحقِّ له مُسَهَّلٌ ، ولم يعصَ من عصى غلبةً ولا قهرًا ، ولم تطع نفس على طاعتها جبرًا ، إنما خُلق الثقلان ؛ مخيريْنِ بين الطاعةِ والعصيان ؛ لتكونَ الطاعة بالاختيار إحسانًا ، والمعصيةُ للإنسان عصيانًا .

* **فأما قوله** [٧] : « أدخلوا عليه الأسفَ والحسرةَ [٨] والغيظَ » .

* **الأدب مع الله** :

فكذبَ عدوُّ الله ؛ لا يقالُ لله : بحسرة [*] ولا غيظ ، ولكن يقال لهم : آسفوا ؛ إذا عصوا الله فأسرفوا ؛ **ولا يقال** : تحسَّرَ اللهُ ولا اغتاظ ، وليس ؛ سبحانه ، مما يُغاظ !!..

---

(١) فى س : إذا .
(٢) زيادة من س .
(٣) فى س : وإنما .
(٤) زيادة من أ ، د .
(٥) فى س : وطاعو .
(٦) فى س : عليهم .
(٧) زاد فى س : عليه اللعنة .
(٨) فى ب : الحسرة ،الأسف .
(*) فى الأصل : بحسر .

يأبى ابن المقفع [1] إلا عجمةَ اللسان [2] ، ومظلمةَ كذب البهتان ، متى وجدَ الله ؛ سبحانه ؛ عمّا يقول ؛ زعم مما لا تقبله العقول ؟!.. أظنه ذهبت به ذواهبُ استعجامِ [3] الحيرةِ ، فيما ذكر عن الله ؛ سبحانه ، من الغيظِ والحسرةِ .

(ألم يسمع) [4] إلى قول الله ؛ سبحانه ؛ : ﴿ **يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [5] فهذه إنما هى حسرةٌ على العباد ، لا عليه ، وتحسُّرٌ [6] فيهم على الهدى لا فيه .

وأما قوله ؛ سبحانه ؛ : ﴿ **فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ** ﴿١٥﴾ ﴾ [7] وهذا [8] أيضًا ، فإنما كان لما هو لهم من أمر الله فغيظ ، يقول سبحانه : **أما من أمرى غاظه** ، فليس يذهبه اغتياظه ، وأما آسفونا فهو لأنهم) أفرطوا (فى) عصياننا ، فوجب عليهم بذلك تعجيل انتقامنا !.. لا على ماتوهم من حرفةِ الأسفِ ؛ التى لا تحلُّ إلا بكل مستَضْعَفٍ !

ولقد كان له فى هذا بيان واضحٌ ؛ لو تبين ؛ ويقينُ عِلْمٍ صادق ؛ لو تيقن [10] ؛ لقول الله [11] ؛ جل ثناؤه وتباركت (و) تقدست أسماؤه : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴿١١﴾ ﴾ [12] وأن الذى تُوهِّم لتمثيلٍ ، هو التمثيل ، فسبحان من لا تصل إليه الآلامُ ، ولا يعرضُ له نومٌ ولا نسيانٌ ، ومن [13] ليس كمثل ما خلق من الإنسان ، وذلك الله ربُّ الأربابِ ، وولى مجازاة العدلِ فى الثوابِ والعقابِ .

* **وأما قوله** : « فجعلَ اللهُ السبيلَ سبيلين » .

فواعجباً لمحالِ قوله فى هذا التكثير والتفنين ، وكيف – ويله – تكونُ سبيلان سبيلاً ؟!..

ما أحسبُ كلامَه بهذا ومثله ، إلا خبلاً [14] وتضليلاً !.. فسبيلٌ – زعم –

---

(١) فى س : يابن المقفع .
(٢) فيما عدا س : البيان .
(٣) فى ب : استعجال .
(٤) ليست فى الاصل ؛ ولكن وضعناها ليستقيم الكلام .
(٥) سورة يس : آية ٣٠ .
(٦) فى أ : وتحسرا .
(٧) سورة الحج : آية ١٥ .
(٨) فى د : وهذه .
(٩) زيادة من ب .
(١٠) فى س : تبين .
(١١) جاءت بهامش س : الله تعالى .
(١٢) سورة الشورى : آية ١١ .
(١٣) فى ب : و .
(١٤) فى س : صَلا ، وفى د : ضلا .

للطاغوت وحزبه ، وسبيلُ تفَّردَ الله – زعم – بنهجه ، وإنما يكون السبيل لهم سبيلاً وغيًا ، إذا كان كل أحد سواهم منه بريئًا ؛ وإنما يكون السبيلُ لله ؛ سبحانه ؛ سبيلاً ، إذا كان إليه داعياً [1] وعليه دليلاً ؛ فهذا [2] – ويله – وجهُ السبيلين ؛ لا ما قالَ به من محال الشيئين .

* **لـمَ خلـق الله الخلـق :**

* **وقال** : « هل تعلم – ياهذا – لمَ خلقَ اللهُ الخلقَ ؟ » .

فنعم تعلمُ لمَ ، إذ علَّمَ وفهَّمَ ومنّ ، ومما نـزّلَ فى ذلك وبيَّنَ ؛ أما الجنُ والإنسُ ، فلما قال تعالى من عبادته ، إذ العبادة له واجبة ، على أهل النعمة فى محمدته ، وأما ما سوى الثقلين فلهما خلقه ، وبه استحقَ عليهما من الشكر [3] ما استحقه ، ذلك قوله ؛ جل ثناؤه وتباركت وتقدست أسماؤه : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)** ﴾ [4] .

ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦)** ﴾ [5] (وقال) : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)** ﴾ [6] فسبحان الله مستحق الرضا ، ممن أطاع أو عصى ، بأحقِّ حقائق الأستحقاق ، وما يحقُّ للخالق الرزاق .

* **فأما قوله** : « فما أراد بخلقه الخير أم الشر ؟ » .

* **أراد الله الخير لخلقه :**

فالخيرُ أرادَ بهم جميعًا ؛ سبحانه ؛ معجلاً ، وثوابُ المحسن منهم أرادَ ؛ جل ثناؤه ؛ مؤجلاً ؛ فأرادَ ؛ سبحانه ؛ الخيرُ فى كلهم إرادةَ تعجيل ، أتمَّها فأكملها أفضلَ تكميلٍ ، لا كما يريدُ من لم تتمْ إرادتهُ ، ولا تحق على غيره عبادته .

---

(١) فى الأصل : وعيًا .
(٢) فى ب : وهذا .
(٣) في ب : من شكر عليهما .
(٤) سورة الذريات : الآيات ٥٦ – ٥٨ .
(٥) سورة الروم : آية ٤٦ .
(٦) سورة الجاثية : آية ١٣ ، وفى الأصل والمطبوعة خطأ هكذا ، (وسخر ...) .

وأما إرادته فى التأجيل ؛ فإرادة خلافها تستحيل ، إذ لا تكونُ بنيةُ أهل الدين ، إلا بنية تمليك وتمكين ، وإنه متى كان غير ذلك ، لم تكن البنية بمحكمة ، ولم ير فيها ما يرى من آثار الحكمة ، وكانت مواتاً لا تفعل [١] ، أو شيئاً من الأشياءِ لا يعقل . فليعقل – ويله – أسبابَ حكم الله المترافدة . وليعلمْ ، تعالى الله ، عن بنيةِ أعيان [٢] الأشياءِ المتضادةِ ، التى لا تقومُ بحالٍ فى وهمِ الأصحاءِ ، ولا توجدُ بفهمٍ فى جهلاءٍ ولا عُلماء .

* **وأما قوله** [٣] : «إن ربهم على كرسيه قاعدٌ ، وأنه تدلى فكانَ قاب قوسين أو أدنى» .

* **فى نفى المكانية عن الله :**

فيا لعباد الله من أعطاه [٤] ؛ قاتله الله ما أعظم فِراه [٥] ؛ إنه جلسَ فقعدَ ؟!.. أو تدلى أو صعدَ ، من حيث ظنَّ أو كما [٦] توهَّمَ ؟!..

وما نبالى ما قال علينا كذبًا ، أو ادعاه من القول فينا تلعُّبًا ، إن الذى قال من قعدَ [٧] وتدلى وانقلبَ ، وجزعَ وافتخرَ وانشأ وغلبَ ، فأكثر فيه من هذا القول علينا كذبًا وفرقًا [٨] وخلفًا [٩] ، لشيءٌ ما عملتُ أن ملّيًا ولا ذميًّا يعقلُ [١٠] ما قال منه قط حرفاً ، وبلى ، ولعله ، وعسى أن يكون ظنَّ قوله : «استوى» . فلا ؛ لم يعنِ [١١] الله بها ما عنى [١٢] ، وما لله ؛ سبحانه ؛ فى ذلك – لو عنى به ما ظنَّ هنالك – من المدح المعظّم ، والتعظيم المكرَّم .

أمَّا علم أنَّ ما يرادُ [١٣] بالاستواءِ ؛ إلا جلال الله والإعلاء بملكه ، لما فوق السموات العلى ، وأن استواءه على ذلك كاستوائه على الأرض السفلى ، وأنَّ **استوى** فى هذا كلمةٌ من الكلام ، جائزٌ معناها بين الخواصِّ من العرب والعوام ، تقول العرب ؛ إذا

---

(١) فى أ : لا تعقل .
(٢) زيادة من د .
(٣) زاد فى س : لعنة الله .
(٤) زاد فى س : الله .
(٥) فى ب : فواه .
(٦) زيادة من ب ، س .
(٧) في : مقعد .
(٨) فى ب : قذف .
(٩) زيادة من د .
(١٠) زيادة من د .
(١١) فى س : يعنى .
(١٢) فى أ : بها عنا .
(١٣) فى س : يزداد .

ظفرت بأحد ، أو غلبتَ على بلد : لقد صرتُ إليها واستويت عليها . تريد غلب سلطانى [1] فيها ، فهذا اوجهُ قولهِ ؛ جل ثناؤه ؛ استوى . لا ما يذهب إليه فيه من العمى .

وأما ما جهل من قول الله ؛ تبارك وتعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] فقد يمكنُ أن تكونَ ثمانية أصناف ، أو ثمانية آلاف ؛ أوثمانية معان ؛ ليس مما [3] يدركُ بعيان ، وأن لا يكونَ كما ظنُّوا ملائكةً ، وأن أقلَّ ما فى ذلك إذ [4] لم يأتهم عن الله فيه بيان ، أن تكون قلوبهم ممتريةً شاكَّةً ؛ لأن ذلك قد يخرجُ فى اللسانِ ، ويتوجهُ فى فهمِ أهلهِ بإمكان .

وإن فى ذلك لعلمًا ، عند أهله ، مخزونًا ، وإن فيه لله لغيبًا مكنونًا ، يدل على عجائبَ خفيةٍ ، ويتجلى إذا كُشفَ عنه بجليةٍ [5] مضيئة ، وليس معنى « فوقهم » ما يذهب إليه الجهلة من الرقاب ، ولا ما يتوهمونَ فيه من تشبيه ربِّ الأرباب ، « والثمانية » فقد يمكن فيها ، غير ما قال به الجهلة [6] عليها .

وأما قول الله ؛ لا شريك له : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ [7] فقد يحتمل « حافين » : أن يكون مكبرينَ مجلِّينَ ، ويحتملُ أن يكنوا بأمره عاملين ؛ لأن الإحفاف ، قد يحتملُ ذلك فى لسانِ العرب أبين الاحتمال ؛ لأنهم قد يقولون إن قومَ فلان لمحفُّونَ به فى الإجلال .

فإن قال قائل : فما وجه قوله فيما ذكر [8] إحفافهم به من حوله ؟! .

فقد يكونون حافين ، وإن كانوا من تحته ، كما يقال [9] : إنهم بفلان لحافُّونَ . وإن كان من علالى [10] منازله [11] ، بحيث لا يبصرون ، فذلك [12] كقوله [13] ؛ سبحانه ؛ فيما أرى فتعالى ؛ لا ماتُوهم فى [14] حمل واحفَّ واستوى : ﴿ وَانشَقَّتِ

---

(١) فى س : شيطانى .. وزاد بعدها فى تلك .
(٢) سورة الحاقة : آية ١٧ .
(٣) زيادة من س .
(٤) فى س : إذ .
(٥) فى س : حلية .
(٦) زيادة من د .
(٧) سورة الزمر : آية ٧٥ .
(٨) فى س : ذكرت .
(٩) زيادة من أ ، ب .
(١٠) فى د : بعلالى .
(١١) فى ب : منزلة .
(١٢) فى س : فكذلك ذلك .
(١٣) فى ب : قوله .
(١٤) فى د : من .

السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ [1] ، فإذا انشقت السماء للفناء والبلى ، تحوّزت [2] الملائكة لشقها "إلى الأرجاء ، وهى [3] النواحى ، فصارت حينئذ [4] حافة حول العرش الباقى ، **والعرُش فإنما هو السقفُ الأعلى ؛ والأسفل** ففناؤه ، قبل فناء الأعلى . فليغقل [5] هذا من المعنى [6] ، من أراد حقيقة ما عنى ، وليعلم أن سقفًا [7] أعلى ما فيه الملائكة من السمواتِ ، غير مسكون بشئ من البريات .

*** تأويل العرش بالسقف :**

فإن قال قائل : أفيكون مكان غيرمسكون ؟!.

– قيل : نعم ؛ سقف ما تناهى من بناء [8] السموات العلى ؛ لأنه لا يكون سفل أبدًا إلا بأعلى [9] ؛ فأما "إن العرش هو السقف" فموجودٌ فى اللسان ، كثير ما يتكلم به بين العرب والعجمان .

وقد يمكن أن يكون معنى الذين يحملونه ، إنما يراد به الذين يلونه ، إذ ليس بينهم وبينه [10] شئ . والأمر [11] يحمله : إنه ليحملنا ؛ إذاكان عليهم واسعًا ، وبمرافقة لهم ممتعًا [12] ؛ وليس يريدون حمله لهم بيد ولا عنق.

*** فى تأويل صفات فعله تعالى :**

أفما فى اختلاف [13] هذا ما وقف عن [14] تشبيه الخالق بالخلق ؟! فأما الخداع والمكر والكيد ، بمن كان يمكر ويخدع ويكيد ، فقد تقوله عنه ، وتصفه ؛ سبحانه ، منه ؛ لأنه ﴿ **خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴿٥٤﴾ ﴾ [15] ، وذو الكيد المتين ، وخادع من خادعه [16] من الكافرين [17] ؛ وكل ذلك منه ، فليس كفعل الخاسرين ، والمكر

---

(١) سورة الحاقة ١٦ ، ١٧ .
(٢) فى : فحوّزت .
(٣) فى أ : وهوهى .
(٤) فى ب : يومئذ .
(٥) فى ب : فليعمل .
(٦) فى ب : ما معى .
(٧) فى الأصل : سقف .. وفى ب : أعلى سقف .
(٨) زيادة من ب .
(٩) فى س : فاعلى .
(١٠) فى ب زاد : بينه .
(١١) فى س : أو فى الأمر .
(١٢) فى س : ممتنع .
(١٣) فى أ ، ب : الاختلاف .
(١٤) ليست فى س .
(١٥) سورة آل عمران : آية ٥٤ .
(١٦) فى ب : خدعه .
(١٧) فى س : الكفرين .

والخداع والكيد [١] ؛ فإنما هو [٢] إخفاء ما يريد من ذلك المريد ، وما عند الله مما يريد [٣] بإعدائه ، فأخفى مايحتالُ فى إخفائه ، وأما حزبه ، فإنما هو حزب أوليائه عن أمره .

فهذا وجه ما ذكر ؛ سبحانه ؛ من حربه وكيده ومكره ؛ الصحيح معناه . لا ما شيَّد به ابن المقفع جهله وكفره وعماه . وأما ما [٤] سمعه من الله ؛ سبحانه ؛ إذ يقول : ﴿ **قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٢٦)** ﴾ [٥] .

أفيرى ، أن أحداً ؛ يعقل أو لا يعقل ؛ يتوهم أن هنالك سقف بناء مسقوف [٦] ، وأن [٧] : « فخر عليهم »، إنما هو بمثل ما يعرف ، من سقوط السقف ! .. ما يتوهم هذا أحدٌ ، ولا يضلُّ فيه من ذى لب قصد .

وهو أيضاً وتوجيهه [*] من تنزيل الله فى كتابه ، بهذه الوجوه كلها فى فهمه وإعرابه ؛ يدل على غير ما توهم فيما [٨] ذكر كله ؛ إلا أن يأتى ذلك مكابرةً لعقله !

وقوله فى الكيد استدرجهم [٩] ، سبحانه ، [١٠] من حيث لا يعلمون ؛ وقوله فى المنافقين : ﴿ **يُخَادِعُونَ** [١١] **اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾ [١٢] . وقوله [١٣] فى الاستهزاء : ﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥)** ﴾ [١٤] وإنما يريد به ، تركه لهم وتأخيره إياهم وهم [١٥] عامون [**] .

لا ما ظنه ابن المقفع بالله كذباً ، ولا استهزاء يكونُ من الله (و) لعبا [١٦] ، كقول قوم موسى [١٧] ؛ إذ قال لهم ؛ ﷺ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ**

---

(١) اختلف ترتيبهم فى س .
(٢) فى د ؛ زاد : هو .
(٣) فى د : ما يريد .
(٤) فى س : وأما بما .
(٥) سورة النحل : آية ٢٦ .
(٦) فى ب : مسقف .. وفى د : مسقفاً .
(٧) فى س : أو أن .
(*) فى المطبوعة : وتوجهه .
(٨) فى س : مما .
(٩) فى ب : يستدرجهم .
(١٠) فى د : الكيد سبحانه .
(١١) فى ب : يخادعهم .
(١٢) سورة النساء : آية ١٤٢ .
(١٣) فى ب : قوله سبحانه .
(١٤) سورة البقرة : آية ١٥ .
(١٥) فى ب : وهو .
(**) فى المطبوعة : عاصمون .
(١٦) فى س : لعباده .
(١٧) فى ب : موسى عليه السلام .

﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [1] فهذا [2] الاستهزاء إذا كان كذبًا ، وقول الخادع ، فإذاً كان لعباً . فإلى المخلوق [3] يضافُ وينسبُ ؛ لأنه هو الذى يلهو ويلعب ، فهذا وجه الاستهزاء منه ، والخداع والمكر . لا ما يذهب إليه كل عميٍّ ضيِّقِ العلم والصدر ! .

وإذا قيل له ؛ سبحانه ؛ : يرضى أو يحب ؛ أو يأسف أو يسخط أو يغضب ؛ فإنما ذلك إخبار عن أقدار الطاعة والعصيان ، وجزاء الإساءة عنده والإحسان ؛ لا يُتوهم [4] مع ذلك ضمير مسكون ، ولا حركة منه فى رضى [5] ولا سخط ولا سكون .

فكيف يكون عندنا غير هذا وهو – ويله – عندنا : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ [6] ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾** ﴾ [7] ، ﴿ **الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾** ﴾ [8] .

* **وأما قوله** : « فمابالله جزعَ فى غيرِ كنهه من عملِ يديه » .

* **تخبط ابن المقفع فى تعبيراته :**

فهى أخوات قوله : « وافتخر وأنشأ » .. التى [9] لا تخرج ، إلا [10] من بين جنبيه ، ومتى – زعم ، ويله – إذا أخبرناه أنه جزعَ أو سخطَ أوكره أو عاب شيئًا مما صنع؟!!..

* **وأما قوله** : « ابتدع الأشياءَ فأخرج الأشياء » . مما كان هاذيًا فيه ؛ وهذا من قوله فى الأشياء ، قولٌ فاسدٌ ليس يعزى [11] ؛ إلا إنا أديناه عنه بحفظه ؛ فكر هنا تبديله ؛ إذ حكيناه عن لفظه .

* **ثم قال** ؛ عذَّبه اللهُ وأدام العذابَ عليه ؛ : « ويجاوز رضاه إلى [12] سخطه ، ومحابه إلى مكارهه ، والخير لعباده إلى الشر [13] لهم ، والرحمة لهم إلى العذاب

---

(١) سورة البقرة : آية ٦٧ .
(٢) فى ب : وهذا .
(٣) فى س : الخلق المخلوق .
(٤) توهم : فى س .
(٥) فى ب : ورضى .
(٦) سورة الحشر : آية ٢٣ .
(٧) سورة الشورى : آية ١١ .
(٨) سورة الحشر : آية ٢٤ .
(٩) فى ب : الذى .
(١٠) زيادة من أ ، ب ، د .
(١١) من أول الفقرة إلى يعزى فى النسخ ؛ عدا : س .
(١٢) ف س : رضاه عن .
(١٣) فى أ : والشر .

عليهم» .. «ثم افتخرَ – زعم – وامتدحَ بأنه غلبهم وقهرهم ، وإنما هم لا شئ ، ومن لا شئ» .

فافهموا [1] **قوله** : «وإنما هم لا شئ» !.. فكيف – ويله – يكون هم لا هم ، وشئ لا شئ ؟! متى يبلغ مثل هذا هذيان المجانين ، ولا جنون أقوال الهاذين ؟!

فأما قوله : «إذا [2] غلبهم افتخر وامتدح» . فهما من أخوات : «انقلبَ» ؛ وهو فيهما يلعب ، كما كان يلعب .

*** الحروف المقطعة في فواتح آيات القرآن :**

ثم عمد إلى أسِّر أسرار القرآن ، وأعجب عجائب [3] سرِّ القرآن ؛ من الروايات والحواميم ، وما [4] ذكر فيه من : قاف – وألم – وطسم ؛ فعدَّ علمها جهلاً ؛ وظن مصون [5] عجيبها متبذلاً .

وأراد – ويله – علم سر أبنائها ، وما طواه الله ؛ إلا عن الأصفياء ؛ في إيجابها ؛ وكلاّ . لم يجعله الله لعلمها أهلاً ، ولم يجعل قلبه العمى لها محلاً ، بل أخفاه الله وزمّله ، ولم يعطه إلا أهله .

فإن كان [6] جهله يُصيِّرُ المعلوم مجهولاً ، فقد يوجدُ كثيرٌ مما هو عنده علم مجهولاً ، وليس من جهلٍ لذى فضل فضيلته ، ولا من رأى أمراً فلم يدرِ علّتَه ، يسلب ذا فضل فضله ، ولا يزيلُ عن ذى علل علله .

وقد يرى – ويله – هو آلات الصناعات ، وأشياء كثيرة من أنحاء إلا متعات ، فلا يدرى لمَ ذلك ، وأهله به دارون ، ولا يشعرُ بما فيه من المنافع وهم يشعرون !

فأين – ويله – كان من إحضارِ هذا ، وهمُّه ... ألا – ويله – حكم بما رأى من هذا وأشباهه حكمه ؟!

ولكنه يأبى [7] إلا تحكم العمى والاعتداء ، والمكابرة في العلم للعلماء !

---

(١) فيما عدا س : افهموا .
(٢) في أ ، س : إذا .
(٣) في د : عجيب .
(٤) زيادة من أ .
(٥) في ب : بطون .
(٦) في س : كان ويله .
(٧) في س : يأتي .

أفلا [١] – فلمَ [٢] لا – يفكرُ ؛ إن كان ذا فطنة ؛ وينظرُ ؛ إن كان من أهل النظر ، فيما استدلَ به أهل الكتاب والعرب ، من هذه الأحرف ، على ضمائرِ كلِّ مغيبٍ ، فكانت هى الدليلُ لهم على الكتابِ ، والسبب لعلمهِ [٣] دون جميعِ الأسباب .

أفما [٤] رأى ، ويله ، سرِّ عجائبها ، فيما ينبئُ عن محجوب غيبها من سرائر قلوب المتكاتبين بها ، ويدور من الأنباء فى البعد [٥] بسببها ، اكتفاء منهم بها [٦] فى أنباء الأمور ، من كل مشاهدة بين المخبرين أو حضور ؟!

* **متشابه القرآن تأويله عند الراسخين فى العلم :**

فهذا وأشباهه فليس لمثله فيه مدخل تعنيف ، ولا يشتغلُ منه ولا من مثله بمنازعة فى تحريف ، مع أن لهذه الوجوه من التفاسير ، ما لو سقط عنا علمها [٧] فى التنزيل ، لكان علينا أن نعلم ، أن لها مخارج عند الحكيم ، ووجوها صحاحًا فى علم العليم [٨] ، ولو كان جهلنا بها يزيل صحتها ، أو يبطل عن الحكيم ؛ لما ثبتت للحكماء حكمة ، ولا فى علم العلماء معلمه ؛ إذ توجد العامّة لا تعلم [٩] علمها ، ولا تعرف للحكماء حكمها [١٠] ، ولو لم يثبت العلم لعالمه [١١] ، ولا حكم الحكمة لحاكمه ، إلا بأن يعلم غير منه ما علم ، أو يحكم فى الأمور ، كما حكم ، لما [١٢] كان فى الأرض من أهلها جاهل ، ولما وجدتْ بين الناس فى العالم فضائلُ .

وما – ويله – فى جهله لحكم الكتاب ، وما جعل اللهُ فيه من عجائب الأسباب ، مما يلحق بالله جهلاً ، أو يزيل عن كتابهِ فضلاً ، ما له – لعنه الله – تأبى به عماياتهِ إلا تبابًا ؟!!..

لقد كابر [١٣] فما [*] فرق ما بين الجهلاء والعلماء ، ما لا يكابره ذوو [١٤] العمى ، يقينًا [١٥] منها به ، وعلما ، ومرمىً منها إلى غير ما رمى ، والتبيان فى هذا

---

(١) فى ب ، د : أوَلا .. وفى س : إلا .
(٢) زيادة من س .
(٣) فى س : التسبب بعلمه .
(٤) فى س : فما .
(٥) فى س : التعبد .
(٦) زاد من أ : اكتفاء منهم بها . ، وفى س : بها .
(٧) زيادة من س .
(٨) فى س : التعلم .
(٩) فى س : توجد .
(١٠) فى س : حكمتها .
(١١) فى س : بعالمها .
(١٢) فى س : بما .
(١٣) فى س : كان .
(*) فى المطبوعة : من .
(١٤) فى س : ذو .
(١٥) فى س : تقمنا .

بيننا وبينه ، وما ينبغى أن نشتغلَ به عنه [١] ، فإنما هو فى تثبيتِ الصانعِ ورسولهِ ، لا [٢] فيما أنكر وفتن فيه من هذيان قيله !

*** الدليل على معرفة الله :**

فإذا ثبتت الحجة فيهما ، وأقمنا دليل الحق عليهما ، عُلمَ بعد إقامة الدليل ، أن الحكمة ثابتة موجودة فى التنزيل ؛ جهل ذلك أو علم ؛ أوتوهم فيه ، أو لم يتوهم .

فدليلُ معرفة الله الذى لا يكابر ، وشاهدُ العلم بالله الذى لا ينكار ، ما أرى وأوضح ، مما تراعيه [٣] أعين الناظرين ، وتحيطُ [٤] بالتحديد فيه أفكار المفكرين ، من الأشياءِ كلها فى تأثير مؤثرها ، وتصوير صور مصورها [٥] وتناهى أقطار موجودها ، وظاهر افتطار [٦] محدودها ، وما ذكره منها ذاكر ووصفه [٧] واصف ، أو تصرف بوصفه من الواصفين لها متصرف ، ففيه لمن نظر وأنصف ، وعدل فى النظر فلم يحفِ ، دليل على حدوث الأشياء مبين ، وشاهد بإله [٨] ، لا يدفع محدثها [٩] مكين ، إذ الأشياء كلها محدودة ، والآثار فى قائمها موجودة ، ومعلوم بأن التحديد إذا وجد ، لا يكون إلا من محددٍ غير محدود ، ولا أثر إذا عوين إلا من [١٠] مؤثرٍ موجود ، ولا تصوير مصوَّر إلا من مصورٍ ، ولا فطرة مفطور إلا من مفتطر [١١] .

*** دليل الصنعة :**

كما لا يكون كتاب وجد إلا من كاتب ، (ولا تركيب إذا كان إلا [١٢] من مركب ، ولا فعل ما كان إلا لفاعل) [*] ، ولا مقال قيل إلا من قائل ، فالله ، تعالى ، مؤثِّر كل مؤثر ، والفاطر ، جل ثناؤه ، لكل مفتطرٍ ، لاينكره إلا منكار ، ولا يأبى الإقرار به إلا مكابر ، والمناكر فغير منكر ، ومن كابر فغير مستنكر .

فلمن أنهج إلى معرفته السبيل ، وأوضح بمنَّته [١٣] الدليل ، الشكر على إبانةِ

---

(١) جاءت فى س فقط .. وفى الباقى : منه .
(٢) زيادة من : أ .
(٣) فى س : ما نرى عنه .
(٤) فى س : وتحفظ .
(٥) فى س : وتحفظ وتصور مصورها .
(٦) فى س : افطار .
(٧) فى د : ووصفه فيها .
(٨) فى ب ، ب : باله .. ؛ وفى س : بابت .
(٩) زيادة من أ .
(١٠) زيادة من أ .
(١١) فى س : مفطر .
(١٢) فى س : إلا إذا كان .
(*) العبارة مكررة فى المطبوعة ، وفى بعض النسخ .
(١٣) فى س : بمثله .

التعريف ، ووضوح [١] دلالة التأليف التى لا يضل عنها إلا متضائل ، ولا يجهل معلومها إلا متجاهل ؛ ولا يثورُ على الله فيها إلا خاسر ، ولا يجوُر عن قصدها إليه إلا جائر .

وإذا ثبت تأثير الأشياء ؛ كما قلنا ؛ واستدل عليه امرؤ [٢] من حيث [٣] استدللنا ، فمعلوم أن المؤثّر بعيد الشبه من مؤثّره ، وأن من ولى تصوير المصوَّر متعالٍ من مساواة مصوَّره ، وأنه إن قرب من الشبه منه ، أو لم يفرق بينه ؛ جل ثناؤه ؛ وبينه ، فى كل معنى من معانيه ، وفيما جلَّ أودق مما فيه ، جُعل كهو [٤] فى عجزه ومقاديره ، وذُلَّ ضعفه وتأثيره ، وعاد الموثِر مؤثَّرا ، ومصوِّر الأشياء مصورًا ، فأثبتواعلى المؤثِر [٥] سمة المؤثّرين ، وأطافوا إليه تعالى ذلة تصوير المصوَّرين ، وكان فى قولهم ، وما سلكوا من سبلهم المؤثِر مؤثرا ، ومصوِّر الأشياء مصوَّرًا ، وصانعها مصنوعا ، ومصنوعها صانعا ، وبديعها مبتدعًا ومبتدعها بديعًا !

وهذا من قول القائلين ، ومعمد [٦] جهل الجاهلين ، عين [٧] متناقض المحال ، ونفس متدافع الأحوال ، الذى لا يقوم له فى الأوهام صورة ، ولا من فطر [٨] معقولات الأقوال فطرة ، وفى ذلك أن تكون الأشياء موجودة لا موجودة ، ومفقودة فى الحال التى وجدت فيها لا مفقودة ، وصار المخلوق لا مخلوقًا ، والخالق فى قلوبهم لا خالقاً ، فتعالى العلى الأعلى ، الذى نهجَ إلى معرفته سبلاً ذللاً ، عما وصفه به المشبهون ، وافترى فى التشبيه به المفترون .

ونحمده على ما عرفنا به من الفرق ، فيما بينه وبين جميع الخلق ، ونعوذ به من جهل توحيده ، ونستعينه على ما ألهمنا من شكره ، وتحميده ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبى وآله وسلم تسليمًا [٩] .

* * *

فأما مذهبه فى العاديات وغيبها ؛ لجهله شاهدها وغائبها ، فغير مستنكر منه –

---

(١) فى س : اوضح .
(٢) فى ب ، د : واستدل امرو عليه .. وفى س : واستدل أمر عليه .
(٣) زيادة من س .
(٤) فى س : كهون .
(٥) فى س : مؤثرها .
(٦) فى ب : معتمد .
(٧) فى س : غير .
(٨) فى ب : فطره .
(٩) فى س : وصلى الله على النبى الأمى وسلم .

قاتله الله ولعنه – فقد تكون العاديات من العدوان والغى ، وتكون العاديات من العدو والسعى ، ثم لكل [1] ما كان من ذلك وجوهٌ شَّى ؛ يرى ما بينها من يعقلُ متفاوتًا ، والصبح أيضا فألوان مختلفة ، وكل ماذكر فى السورة فله وجوه متصرفة ، يعرفها من عرّفه الله إياها ، ويوجد علمها ، عند من جعله الله مجتباها .

فليقصر ، من عمى عنها فى عماه ، فإن العمى لا يعلمُ الظاهر ولا يراه ، فكيف يعلم خفى ما بطن من الأسرار ، التى جعلها الله أفضل مواهبه للأبرار ؟!..

* **أهل البيت هم ورثة العلم :**

أولاً فليسأل عنها ، وليطلب ما خفى عليه منها ، عند ورثة الكتاب ؛ الذين جعلهم الله معدن علم ما خفى فيه من الأسباب ، فإنه يقول سبحانه ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)** ﴾ [2] ، ولتكن مسالته منهم للسابقين بالخيرات ، فإن أولئك أمناء الله على سرائر [3] الخفيات ، من منزل وحى كتابه ، وما فيه من خفى [4] عجائبه ، فقد سمعت قول الله : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٤٣)** ﴾ [5] .

فأما من لا فرق عنده بين عامى من عمى ، ولاغى من العاديات من سعى ، ولا الصور [6] من صور ، ولا الغمر من غمر ، ولا النور من نور ، ولا الأمور من أمور [7] ، فحقيق أن [8] يتعلمَ لسان القرآن ، الذى صورَ ، والصور فيه مفترقات [*] ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد وآله وسلامهُ .

* **خلق الله الأشياء من عدم :**

* **وأما قوله** : « ثم زعموا أن الله خلق الأشياء كلها بيده لا من شئ موجود » .

وزعم أن اليد لا يتوهم قبضها وبسطها ، إلا بعد وجود !

فواعجبا [9] لجهله بمسائله ، وزور كذبه علينا ومقاوله ، ومتى – ويله – زعمنا

---

(١) فى س : بكل .
(٢) سورة فاطر : آية ٣٢ .
(٣) فى س : سائر .
(٤) فى س : خفى من .
(٥) سورة النحل : آية ٤٣ .
(٦) ف س : الصورة .
(٧) فى س : امر .
(٨) زيادة من ب .
(*) فى الأصل : مفترقان .
(٩) فى س : وياعجبا .

لـه ، أن جميعَ ما بتّ من خلقـه وأُرى ، [١] مما ولـى [٢] خَلَقـه بيـده تعالى وبرأ [٣] .

إنما قيل ذلك فى آدم خاصّةً ، دون غيره من الأشياء ، إذ تولى الله صنعه بالابتداء ، فلم يكن ككون بعض الأشياء من بعض ، ولم يتقدمه فى خلقه نظيرمن أهل الأرض ، فأما نظراؤه الذين كانوا بعدُ من أولاده ، فإنما خلقه [٤] ، سبحانه ، بالتناسل من بعده لا على طريق خلقته من الابتداء ، ولا بمثل مبتداه به من الأشياء ، خلقًا من غير [٥] والدين ولداه ، ومبتدعًا لا على مثال ابتدأه .

* **وأما قوله** : فى قـول الله سبحانه : ﴿ **كُن فَيَكُونُ** ﴿٨٢﴾ ﴾ [٦] ، وزعم أنـه لايقـال : كن ؛ إلا لما هو كون [٧] .

فليس – ويـله ، ويلا [٨] يكثر عـوله – مذهبنا فى ذلك إلى ما توهّم ، ولا أنه ؛ سبحانه ؛ نطق أو تكلم ، إنما ذلك للإخبار عن القوة منه [٩] والاقتدار ، وأنه لا يفعل ما فعل بمباشرة ، وأن سبيل فعله كله سبيل قدرة ، لا يعانى بكفَّين ، ولا يستعان فيه بمعين .

* **فأما قوله** : « لأن كونَ شئ لا من شئ » .

لا يقوم [١٠] فى الوهم له مثال ؛ وما لا يقومُ فى الوهم مثاله ، فمحالٌ ؛ فإنه يقال فيه لمن قال مقاله ، ورضى فيما قال من حاله :

* **قـدم البـارئ وحـدوث العالـم** :

أتزعُم يا هذا أن الأشياءَ قديمة ؛ ليس لبعضها على بعض عندكَ تقدمة ؟!

فمن قوله : نعم ، قد ثبتَ [١١] لكلّها القدم .

فيقال له : أليس لإقرارك لكلها بقدمها ؛ وإثباتك للقدم فى توهمها ؛ إقرار بأنها لا من شئ ، وأنها أول بدء، والأولُ لا يكون أولاً إلا لغيره ؛ ولا يثبتُ أولاً لتكريره .

---

(١) فى ب : إذا .
(٢) فى س : ولى من .
(٣) فى النسخ فيما عدا س .
(٤) فى ب : خلقته .
(٥) فى ب : عن غير .
(٦) سورة يس : آية ٨٢ (جزء منها) .
(٧) فى س صحح كون : كائن .
(٨) زيادة من س .
(٩) زيادة من أ .
(١٠) زيادة فى أ : منه .
(١١) فى س : ثيت .

فأيهما أولى بالقيام فى الوهم ، حدوثُ شئ لا من شئ متقدم ، أو شئ لا أولَ له يعلمُ ، ولا نهاية فى آخره تتوهم ؟!

– **فإن قال** : شئ لا أول له ولا نهاية ، أولى بالتوهم منه ولايةً[٢] .

– **قيل** : فلا يكون [٣] أولى ، وهو متوهم ، وإذا أجزت فى معنى لم يزل التوهم ، ثبتَتْ به حينئذ الإحاطة ، ولا يحاط إلا بماله نهاية محيطة ، والنهاية أقطار ، والقطر تحديد وافتطار [٤] .

– **فإن قلت** : ليس توهُّمه [٥] على هذا ؛ لأن هذا قد استحال ، ولكننا نتوهمُ أنه لم يزل ولن يزال .

– **قيل** : فأنت إنما تريد تتوهمُ أنك تدرك وتعلم ، فلمَ أنكرت المحدث ؟! .. وإن لم تعلم له كيفيةً فى الوهم ، وقد ثبتَ معنى لم يزل غير متوهم .

فقد يلزمُكَ أن يكونا جميعًا عندك فى التعجبِ [٦] مشبهين ؟!

– **فإن قلت** : فإنى أنفى بهذا هذين الوجهين . فالمسألة [٧] عليك فى نفسك لازمة ؛ والأشياء بعد [٨] قائمة .

– **يقال لك** : أتخلو [٩] الأشياء من أن تكونَ حوادث أو قديمة ، إذ الأشياء ليست إلا قديمًا أو حادثًا ، لا يتوهم [١٠] فيها وجها ثالثا ؟

– **فإن قلت** : فإنى لا أدرى ، أعلى حقائق الأشياء أم لا ؟.. لحقتَ بأصحاب سوفسطا (*) ، وفيما كان من ردِّ الأوائل عليهم غنى كاف ، وبيان [١١] ، قد تقدم منهم شافٍ ، والحمد لله رب العالمين كثيراً ؛ وصلواته على محمد وآله الذين طهرهم تطهيراً .

---

(١) فى س : منقدم أو شئ .
(٢) فى س : ولا آية .
(٣) فى ب ، د : يكون هو .
(٤) فى س : افطار .
(٥) فى س : توهمه .
(٦) فى ب : من التعجب .
(٧) فى ب : والمسالة .
(٨) فى س : بعده .
(٩) فى س : لتخلو .
(١٠) فى س : يتوهم فيها .
(١١) فى س : تبيان .
(*) يقصد السوفسطائين ، ومذهبهم الشك واللا أدرية والمغالطة ، وانه ليس هناك حقيقة ثابتة .

* **وما يقال** – إن شاء الله – لمن قال : إنه لا يكونُ شئ لا من شئ ؛ وإن [1] كل ما أدركنا بالحواس كلها ، فأولىٌّ أزلى » . وهم فرق شتى متفرقة .

– **فمنهم من يقول** : إنما الحدثُ اجتماع وفرقة .

– **ومنهم من يقول** : إنما هو تغيُّرٌ باختلافِ ما يدخلها من التغير .

– **ومنهم من يقول** : إنما الحدثُ كونُ بعض الأشياءِ المختلفةِ المتضادةِ من بعضٍ ؛ كالأرضِ التى تكون من الماء ، والماء الذى يكون من الأرض .

ومن أجل هذا الأصل ، قالوا جميعًا : إن الكلَّ مختلطٌ بالكل ، وإن الكلَّ من الكلِّ يكون ، وأن هذا هو الحدث والكون ؛ إلا أنه من صغر أقداره لا يوجدُ ولا يُحسُّ به وهو لا منتهى له فى عددهِ ، وأن كل ضد من الأشياء مختلطٌ بضدّه ، البياضُ بالسواد والنامى بالجماد ، والعظم باللحم ، واللحم بالعظم ؛ ليس شئ منه [2] بخالصٍ وحده ، وترون أن طبيعة الشئ هى الأكثر منه أو مما ضادّه [*] .

يا هؤلاء ؛ إنه [3] إن كان الشئ لا منتهى له فى نفسه ، لم يعرفه أبداً عارف ، وإن كان لا منتهى له فى عده أو كثره [4] ، لم تكن للكمية معارف ، وإن كان لا منتهى للشئ فى الصورة ، كانت الكيفية مجهولة ، وإذا كانت الأشياء لا تعرف ؛ (لأنه لا منتهى لها ؛ فما كان منها فلا يعرف) [5] أيضًا مثلها !

* **الكل ما هو إلا مجموع أجزائه** :

وإنما يعرفُ ما يدركُ ويسهل لمعرفته المسلك إذا عُلم من كم ركب .. وأى الأشياء هو إذ [6] تركبَ ، ومضطر أن يكون من الأشياء لما منه كان نظيراً ، قليلاً كان منه ، إذ كان أو كثيراً ، وأن الذى يكون عنه ، كالكل إذًا [7] يكون منه .

فإن كان لا يستقيم أن يكون الحيوان [8] ، ولا ما جعل الله له من الأجسام ، ولا الأشجار ، ولا ما جعل الله له من الثمار ، بلا منتهى فى عظم ولا صغر ، ولا فيما

---

(١) فى س : وإنما .

(٢) زيادة من س .

(*) يتحدث عن أصل العالم ، والجسم والجوهر الفرد ، وهو فى هذا يرد على التصور القديم لوجود العالم عند الفلاسفة اليونان .

(٣) زيادة من أ .

(٤) فى س : كبره .

(٥) زيادة من س .

(٦) فى س : الذى .

(٧) فى أ : إذ .

(٨) فى س ؛ الكالحيوان .

يُرى له من قدر ، فكذلك الكل عند كل [١] من يعقل ذو نهاية ، إذ هذه الأشياء ، التى هى أجزاؤه ذوات غاية ، ولا يستقيمُ له ، ما لم يستقمْ لأجزائه .

* فى التناهى :

وإنما تناهيها من قبل انتهائه ، وإن كان الحيوان والشجر وأجزاؤهما ، التى لحق بها [٢] فى وضعها [٣] انتهاؤهما ، ليس حوادثٌ مفتعله ، وإنما يريد القائل بحوادث ، منفصلة [٤] ، وبعضها عندهم فبعض ، فالماء منها هو الأرض ، والأرض فهى الماء ، والماء فهو الهواء ، فإن ذلك يصيرُ إلى أن كل موجود فمن موجود ، والموجود فلا يصح أن يقالَ له بكونٍ ولا بعودٍ .

وكيف يكون الكائن ؛ أو يبينَ شئٌ من شئٍ ؛ واللحم ينفصلُ من الماءِ ، كيفَ والماء فاصلٌ موجودٌ ؟! .

* فى الحد :

وإن كان كل جسد ذى حدٍّ ، إذا خرجَ منه بقدرته جسد مثله محدود ، فنى عندها يقينًا ، وبطل أن يكون كمينا ، فمعروف أنه لا يكون الكلُّ من الكلِّ [٥] ؛ لا ويخرج منه فى الوزن ، مثلٌ له بعد مثل .

كيف ، وقد يعلم أن الشئَ إذا أخذ منه مثله ؟!.. فقد فنى ، وذهبَ كلُّه . وإن كان ما أُخذ منه ، مقصرًا فى القدر عنه ، نقصَ منه بقدر ذلك ، لا يكون الأمر فيه [٦] أبدًا إلا كذلك ، ولا يستقيم أن يكون لهذا الذى أُخذَ منه مثله قوام أبداً إلا منتهى ؛ ولو انتُقصَ منه مثل بعضه ؛ لكان بذلك قد تناهى الشئ ، الذى يدوم عظمه ، وينفى عنه تغيُّره ؛ ولا [٧] يستقيمُ أن ينفصلَ منه أبداً غيره ، ومن أجل أنه [٨] لا ينفى أبداً قدره ، وهو يُخرجُ منه أجسادَ مثله ، وبقدرة فى الوزنِ محدودة ، مستوية فى الوزن بقدرةٍ موجودة .

---

(١) كل : فى كل النسخ عدا س .
(٢) فى د : : بهما .
(٣) فى ب ، س : وصفها .. وفى د : وصلها .
(٤) فى س : متفصلة .
(٥) زيادة من ب : من الكل .
(٦) فى س : إلا مراقبة .
(٧) فى أ ، ب : لا و .
(٨) فى س : ومن أحداثه بدلاً من : ومن أجل أنه .

وهو أيضًا لا يُحدُّ إذا أُخذ بكثرتها ، فلا [١] يوصفُ عند الصفة بصفتها ، وإن كان كل جسد من الأجساد ، إذا أخذ من بعض زينته ، لابد أن تنتقض [٢] منه [٣] كميته ، كيف ما كان فى [٤] حده من كبره أو صغره ، فمعلوم أنه لا يفصلُ منه أبدًا حدٌّ مثله ؛ إلا انتقصَه [٥] ما فُصلَ منه كله .

وأنه لا يجوزُ فى ألبابِ الأصحاءِ ، ولا فيها يُحمدُ من قضاء الصلحاءِ [٦] أن يكونَ يؤخذ من شئ شئ ، ثم لا ينقِصُه ما أخذ منه ؛ وإذا انتقص فالنقص يخبرُ بالنهاية عنه .

* **ويقال أيضًا لهم** : إن كانت الأجسادُ والأعراضُ مختلطة ، وإنما يفارق بعضها بعضا عندهم فرقة ؛ وهى كلها فى قولكم فواحدة ، فالإنس [٧] والخلق ليس [٨] بينهما عندكم خلاف ، والأعيان والأعراضُ فقد تجمعهما الأوصافُ !

* **حدوث الأشياء** :

ولابدَّ لهذا الخلق من رؤوس أولية مبتدعة من الله ؛ سبحانه ؛ بديئة ، منها برأ اللهُ كل بريَّة ، تُرى من البرايا كلها بعيان ، ويثبت أن تركيبها شئ أو شيئان ، ولا ينبغى لهذه الرؤوس أن يكون بعضها من بعض ، بل تكون متضادة كضاد النار والأرض .

* **ويقال أيضًا** : إن كانت صورُ الأشياء لم تزل ولا تزال ؛ والصور فهى : الألوان والهيئات والأشكال [*] ؛ **كان قول القائل** : إنه لا يمكنُ أن يكون شئ لا من شئ ، ولا يفسدُ من الأشياء كلها شئ ، فيعود إلى التلاشى . قولاً [٩] من قائلهِ مقبولاً ؛ وُعُدَّ ما زعم فيه قولاً .

وإن لم تكن صورُ الأشياء دائمة ؛ ولا فى كل حين موجودة قائمة ؛ أعنى بالصورة

---

(١) فى ب ، س : ولا .
(٢) فى س : ينقص .
(٣) فى أ : من .
(٤) فى س : من .
(٥) فى س : سنقصهُ .
(٦) فى س : النصحاء .. وبالهامش : الصلحاء .
(٧) فى س : فالأبيض .. وبالهامش : الإنس .
(٨) ليس : زيادة من د .
(*) فى المطبوعة : ولأشكال .
(٩) فى أ : متصل قولاً .

صورة اللحم ، وصورة الدم ، وصورة العظم ، وصورة الأشكال الكيفية [١] الطبيعية ؛ والألوان كلها الظاهرة منها والخفية ؛ فلا محالة أنها لم تكن قبل حدوثها ، وأنها قد تفنى بعد حدوثها ؛ وأن حدوثَها استحالتها من ليس إلى أيس [*] .

كبياض الثلج ، الذى يحدث عند كون الثلج معًا ، ويبطل بياضه [**] عند بطلانه فيفنيان جميعاً .

وهل من فعال فى سكون أو زوال ، يجدُه واجد ، أو شهد [٢] به على فاعله شاهد ؛ إلا وهو محدثٌ كان بعد أن لم يكن ، برئ من معنى لم يزل ، تعلمُ كل بهيمة معى ماضيه ، وفراقها فى المعنى لمنتظرِ آنيه ، فلا يجهلُ أحدٌ منه ماضيًا ، ولا يُشبه [٣] ماضٍ منه آتيًا ؟!

إلا أن يزعم متجاهل ، أو يكابرَ عاقل ، **فيقول** : إن كونَ الحركة والسكون فى حال [٤] واحدة معًا ، وأن الحركات والسكون ، لم يزلن قطُّ جميعًا ؛ فيلزمه أن تكونَ أوقاتها كلها وقتًا ، ونطقُ ما يعقل [٥] ناطقاً من الأشياء سكتا ، فيعود لومه من أوقاتها أمسًا ، ومحبوسها عنده لنفسه حبسًا ، وفرعها أصلاً ، وآخرها أولاً ، وكفى بهذا من القول محالاً ، ومن وصْفِ محالات القول مقالاً .

إن البهائم جميعًا فى أختلافها ؛ لتنظر ما لم يأتها بعد من أعلافها ، فإذا وصل إليها ، افترقت مواقعة لديها ، فما تنتظرَ بعد إتيان [٦] ، (ولا تضطر إليه يحولان ، ومن قبل ذلك ماكانت تصهل إليه وتبهق ، وتضطربُ إليه دائبة وتقلق) [٧] .

ولكن لم يعد القوم فى جهلهم من ذلك لما جهلوا ، وضلالتهم عن حقائق الأمور عما ضلُّوا ، ما وصفهم الله به وذكر من ضلالتهم فى محكمه كتابه [٨] ؛ إذ يقول تعالى : ﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**

---

(١) فى جميع النسخ عدا س .
(*) فى المطبوعة : بياضه .
(**) سبق التعريف بالليس والأيس قبل .
(٢) فى س : يشتبه .
(٣) فى س : يشتبه .
(٤) فى س : حالة .
(٥) فى س : ينطق .
(٦) فى س : اثنان .
(٧) جاءت العبارة فى س هكذا : ولا تضطر إليه دائبة وتقلق ، بحولان ، ومن قبل ذلك ماكانت تصهل إليه وتبهق وتضطرب إليه دائبه وتقلق .
(٨) فى جميع النسخ عدا س : كتبه .

سَبِيلاً ﴿٤٤﴾ ﴾ [١] ؛ فلم يقفهم على مواقف البهائم ، فى الجهل ومناهيها ؛ بل زادوا فى حكم الجهل عليها ! .

فافهموا دلالة هذه الآية المعجمة [٢] المتحققة ؛ وما أوجد الله ؛ سبحانه [٣] ؛ منها عياناً فى هذه الفرقة ، فإن وجودها فيهم ، ودلالة الله بها عليهم ، أية عظيمة عند من يعقلُها فى البيان ، لا توجدُ إلا فيما ذكر الله [٤] ، سبحانه ؛ من الضُّلاَّن ، والحمد لله رب العالمين ، حمداً موفوراً ؛ وعلى سيدنا محمد النبى [٥] وآله السلام كثيراً .

* * *

*** النور كثرة عند ابن المقفع :**

ثم جعل ابن المقفع النور ؛ الذى زعم أنه خير واحد ؛ أفانين ، ولونَّه فى معناه الأوين [٦] ، وجعله بعد توحيده له [٧] كثيراً لا يحصى ، وعدداً جماً لا يتناهى . **فقال** : « إنه نورٌ وحكمة ، وطيب وبهجة ، وخير وبركة ، وإحسان وراحة » .

وكذا [٨] مما لا يتناهى وقد تعلمون أن البركة والبهجة [٩] والطيب والحسن والحكمة ، أشياء فى العدد كثيرة ، ومعانٍ لا يُشك فيها متغايرة ، كل واحد منها غير صاحبه ، والسبب منها غير سببه ، لا يشك فى ذلك ولا متريه إلا من لا يعقل شيئًا ولا يدريه .

وكذلك قال فى تكثير الظلمة ، ومانسب إليها من الشرِّ ، وخلاف الحكمة ، ثم جعل كثيرها واحداً ، وزعم أنه لا يكون منها خير أبداً !

أفليس [١٠] – يا هؤلاء – الليلُ الأدهم ، وسواده الذى هو من كل ظلمة أظلم ، موجوداً فيه ، ما ذكر الله فيه من الكون ، بأوجدِ معارف ما يعرفُ من كل كون !

والسكون راحة ، والراحة فسحة ، والفسحة خير كبير [١١] . فالظلمة إذاً عندهم خير!

---

(١) سورة الفرقان : آية ٤٤ .
(٢) فى ب : الموجبة .. وأظنها . المحكمة .
(٣) زيادة من س .
(٤) لا توجد فى س .
(٥) زاد فى : الأمى .
(٦) ربما قصد الزيادة والكثرة .
(٧) زيادة من س .
(٨) فى ب : « كذا » ؛ واحد فقط .
(٩) فى ب : هو البهه .
(١٠) فى س : فليس .
(١١) فى أ : كبير .

يقول الله ، تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧) ﴾ [١] ؛ وقال الله : ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٧٢) ! ﴾ [٢] .

وهل [٣] ينكر أن نورَ الشمس ، يدرك ذلك منها بالحسِّ ؛ معشاةٌ لبعض العيون ، ومضار فى كثير من الفنون ؟! وهو أفضل النور عندهم فضلاً ، وأكثره فى النور محصلاً !... أو ليس [٤] قليل النهار مقصراً فى النور عن كثيرة ؛ والتقصير شر ؛ فالشر فى بعض النهار بتقصيره ؟!

فأى محالٍ أوضح ، أو مقالٍ ، أو حالة ، أقبح من هذا مقالاً ، ومن محاله محالاً ؟!

ليس بالأمر من خفاء ، ولا على عورة أهله من غطاء ، إلا أن عجمة القلوب ، ومافيها من عمه الذنوب ، يجول بأهلها كل مجال ، ويهلك بمحالها ضعفة الرجال !

*** تصور ابن المقفع لمملكة الشيطان :**

* **ومما** [٥] **قال من هم** صدره ، وزمازم هتره : « إن الشيطان – زعم – قد بنى على كل صنف من أهل الأديان حائطاً وسوراً شديداً ، حصرهم – زعم – فيه ، ووكل بهم شيطاناً من شياطينه ، وجعله عليهم [٦] – فإن [٧] كانَ الوكيلُ حفظ السور ، فهذه أمانة ، وإن لم يحفظه ، وكانت منه لموكلِه فيه خيانة ، كان السورُ كما لم يكن ، لم يبق فيه أحد ممن سُجن » .

فاعجبوا – أيها السامعون لما تسمعون – من متناقض هذا القول ، الذى لا يقول مثله إلا كل منقوص مرذول ! فافهموا ما به وصف شيطانه ، وكيف شدد أركانه ، إذ جعلَ له أسواراً [٨] وحصوناً ، وجعل نوره عنده مسجوناً ، وذو [٩] السجن والحصون محتال ، والحيلة فلا يعرفها عنده الجهال ، لأن المعرفة عنده خير سار ، والجهالة شر ضار !

---

(١) سورة يونس : آية ٦٧ .
(٢) سورة القصص : آية ٧٢ .
(٣) فى س : وهو .
(٤) فى س : وليس .
(٥) فى س : وإنما .
(٦) فيما عدا س : عليه .
(٧) فى س : فإذا .
(٨) فى س : فإذا .
(٩) زا د.

وقال : « حصرهم » ، والحاصر ، والقوة فخير ، فقد عادت الظلمة عندهم خيراً ، والمحصور فعاجز ، والعجز فشر ، فقد عاد النور عنده شراً !!

*** فى نقد فكر المزاج بين النور والظلمة :**

* **ويقال لهم** ؛ فيما زعموا من المزاج ، وجاروا به من ذلك عن كل [١] منهاج سلكه سالك ، أو فتك فيه فاتك ؛ من أين – يا هؤلاء – جاء تعادى الممتزجين من التضاد [٢] ، بعد أن صارا جميعا فى عقدة من المزاج واحدة ؟!..

كنحو معاداة إنسان لإنسان ، أو ضرب آخر سواه ، من مواتٍ أوحيوان .

وكيف يكون من الناس ، ماكانوا صلحاء ، نسلٌ غير صالح ، ومن طالحهم ؛ شيئًا كانوا أو أشياء [٣] ؛ شئ ليس بطالح ؟! .. ولا نرى [٤] ، صلاح أبيهم أصلحهم ، ولا ما فى أبيهم من الطلاح أطلحهم ! ولا يكون منهما – وهما [٥] اثنان ، ولما [٦] هو منهما أصلان – إلا أنثى واحدة (أو ذكر ، لا يوجد لهما سواه بشر !..

فما بال فرعهما – إذ لا يكون كأحدهما – إما أنثى مفرداً) [٧] ، أو ذكرا أبداً !..

فلو كان الأمر على ما يزعمون ؛ أو فى شئ من طريق ما يتوهمون ، كان ولدهما ذكرا أنثى ، وأنثى ذكراً !.. إذ كان عندهم إنما يكون كل شئ من مثله ، وكل فرع شئ – زعموا – كأصله !.. والولدان لولدهما أصل ، وكل شئ فإنما يكون منه ما هو له مثل ، والمزاج نفسه فشمرة [٨] لا من مثلها ، وعقدة المزيج فليست كأصلها ؛ إذ أصلها اثنان ، وهى واحدة ، وإذ هما لها أصل ، وهى لهما عقدة !..

فأى مكابرة أوحش ؛ أو محال قول أفحش ، مما أدى إلى مثل هذا ، وما كان من القول هكذا ؟! فليعلموا [٩] – ويلهم – أن الله هو الذى صنع الأولاد للآباء ،

---

(١) زيادة من س .
(٢) فى جميع النسخ فيما عدا س : المتضادة .. وكذا فى المطبوعة .
(٣) فى س : أنشأ .
(٤) فى أ : يرى .
(٥) ليست فى الأصل .
(٦) فى ء : لما لا .
(٧) زيادة من س .
(٨) فى ب : فشرة .
(٩) فى ب : فليعملوا .

وأنه لا يصنع الأكفاءُ الأكفاء [١] ؛ ولكن [٢] الله الأحد الصمد ، الذى ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾** ﴾ [٣] .

وكيف يصنعُ والد ولداً ، وإنما كان بالأمس مولوداً ! . . إذ يكون الوالد من صنع والده [٤] ، كما الولد من صنع والده ؛ لأنهما كفؤان فى الميلاد ؛ وولدان كالأولاد ؛ ولكن ذلك كما قال الله ؛ لا شريك له ؛ وما بينه فى كتابه ونزله : ﴿ **لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾** ﴾ [٥] .

* **ويقال - إن شاء الله - لهم** : مَن الناطق آلظلمة ؟ ؛ . فالمنطق خلاف الخرس وهوخير - زعمتم . أم النور والظلمة جميعاً فقد استويا فى النطق ؟! فالاستواء تشابه - كما علمتم .

أم الناطق النور ؟! فالمنطق [٦] خيرٌ وشرور ، والشرُّ إذاً فهو فى نوركم ! . .

ويلكم ؛ ما أبين (ما) فى هذا ، شناعة أموركم ، وأشد مجونكم ، وأعظم جنونكم ، وأظهر السفه - به وبغيره - فيكم ؛ وأغلب الدناءة فيه عليكم ! . .

* **حسية النور والظلمة** :

وزعموا أنهما حساسان [٧] ، فهما [٨] لا محالة فى الحسِّ مشتبهان ، ومشبه الشر لا يكون إلا شراً مؤذياً أليماً ، ومشبه النور لا يكون - عندهم - إلا نوراً كريما .

وفى مشابهة النور ؛ بالحس [٩] ؛ (للظلمة ، نفى ألا يكون خيراً ؛ وفى مشابهة الشر للنور ؛ بالحسِّ) [١٠] ؛ نفى ألا يكون شراً ، فكل خير منهما خير شر ، وشر خير ! . . وهو من القول فأحول ما يكون من المحال ، وأخبثُ ما قيل به فى إلا حالة من الأقوال .

---

(١) فى س : إلا الاكفاء .
(٢) فى المطبوعة والأصل : ولكن .
(٣) سورة الإخلاص : الآيتان ٣ - ٤ .
(٤) فى المطبوعة والأصل : ولده .
(٥) سورة الشورى : الايتان ٤٩ - ٥٠ .
(٦) فى س : فالنطق ... وفى د : والنطق .
(٧) فى س : حساسات .
(٨) فى س : فما .
(٩) فى س : الحس .
(١٠) زيادة من س .

* **الأشـــياء لا تتغـــير :**

* **ومن قـــولهم** : «إن الأشياء لا تتغير عن جواهرها» . وقديرون أنها تتغير عن صورها ، فصورة النور مؤنسة مضيئة ، وصورة الظلمة موحشة ظلمية ؛ فإذا ما هما امتزجا ، عوين مزاجهما بصورة [1] في المزاج [2] أخرى ، ليست بما كان يرى ؛ لا مؤنسًا [3] مضيئًا ؛ ولا موحشًا ظلميًا !

فمن أين كانت هذه الصورة الثالثة ؟!.. إلا أن الأمورَ حادثة ، ولكنْ يلعبون بنفوسهم ، ويقولون بخلافِ ما يجدون من محسوسهم ، وليس ببديع ممن حشر [4] على قول الزور والبهتان ، أن يجحدَ – بلسانه – ما يدركه بشواهدِ العيان ، فيزعم أن الرطب يبس ، وعشر العدد خمس . وإنما التبيان في الحقائق الموجودة ، ما يدركُ فيها لشواهدها المشهودة .

* **ولا يكـــون مـــن الشـــئ إلا مثـل جوهـــره :**

وزعموا أن الشئ لا يكون منه أبدًا ، إلا مثل جوهره مجتمعا ومفردًا ؛ وشأن النور العلو والارتفاع ، وشأن الظلمة السفول والاتضاع ، وكذلك شأن كل ضدين ؛ متى وجدا متضادين ؛ متى على هذا ، هوى هذا ، فهو [5] أبدًا يهوى إذا ضدّه سمى ، ويسمو إذا ضده هوى ، وفي فراق الشئ بشأنه ، حقيقة فنائه وبطلانه ؛ كالنار التي من شأنها التسخين ، واللين الذى لا يكون إلا وله تليين ؛ فمتى بطلت شأناهما [6] بطلت ؛ لابد عيناهما ؛ لأنه لا حار إلا مسخن ؛ ولا لين أبدًا إلا ملّين .

* **وتـــرك النـــور مملكتـــه :**

وقد زعموا أن النور قد زال عن داره من العلى ، وصار إلى هذه الأرض السفلى ؛ وفى ذلك من تغيّره ، ما قد قيل من بطلان عينه ، وكذلك الظلمة في بطلانها ؛ إذا صارت إلى خلاف شأنها ، فصارت في منزلها سفلي ، إلى ارتفاع ومعتلى ، فهما – في قولهم – قد بطلا !..

---

(١) في س : بصفة .

(٢) في أ : مزاجها .

(٣) في س : إلا مؤنسا .

(٤) في س : حسن .

(٥) فيما عدا : فهو .. وفي س : فهذا .

(٦) في أ : شانهما .

وقد يوجدان بالعيان [1] علواً وسفلاً ، وهذا نفس متناقض المحال ، وعين متدافع الأحوال !.. إذ فى أن يبطلا فقدانهما ، وفى أن يوجدا بطلانهما ، فعدمها وجود ، وغيبتهما شهود ، فأى عجب أعجب ، أو متلعب ألعب ، ممن رضى بهذا قولاً ، وكان بمثله معتلا ؟!!..

وفى هذا من أمرهم ، وما أوجدنا [2] فيه من ذكرهم ؛ كفاية للناظر المبصر ، بل قد يكتفى به غير المفكر ؛ والحمد لله ، حمداً دائماً مقيماً [3] ، وصلى الله على محمد النبى وآله وسلم تسليماً .

* * *

*** من خرافات أحاديث الثنوية :**

فأما خرافات أحاديثهم ، وترهات اعابيثهم ، فهذل ليس فيه جد ، ولا مما يجب به [4] له رد ، ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ** (٧٩) ﴾ [5] .

وبأى متلعب – قاتلهم الله – يتلعبون ؟!.. ألم تروا أسماءهم التى يسمون ، وما منها لا غيره [6] يعظمون ، فمنها عندهم **أبو العظمة** [7] ، **وأم الحياة المتنسمة** [8] ، **وحبيب الأنوار ، وحراس الخنادق والأسوار ، والبشير ، والمنير ، والإنسان القديم !**

وما ذكروا **من الأراكنة** ، التى عليهم [9] بها من الله ألعن اللعنة ؛ وما قالوا من عمود السبِّح [10] ، التى بها بقولهم فيها ، [11] أقبح ما يُستقبح ، وأكذب أكاذيب الزور ، وأعجب أعاجيب [12] ما وصفوا من الظلمة والنور.

---

(١) فى أ : يوجدان ، وفى س : يوجد إن العيان .
(٢) فى س : وجدنا .
(٣) زيادة من أ .
(٤) زيادة من س .
(٥) سورة البقرة : آية ٧٩ .
(٦) فى أ : لا غيرها .
(٧) فى ب : أبو الطامة .. وفى س : العظمة أبو .
(٨) فى د : المبتسمة .
(٩) فى د : بها عليهم .
(١٠) فيما عدا س : الشبح .
(١١) زادها فى أ : فيها .. ؛ وفى س : ويقدم لهم فيها .
(١٢) فيما عدا س : عجائب .

* **أســماء عجيبــة وأســاطير :**

فزعموا أن أسماءهم هذه التى افتروا ، وفننوا [١] فيها بأعباثهم وكثّروا [٢] ، هى رد الظلمة – زعموا – عن النور !.. أفلا [٣] ردت عن أنفسها ما هى فيه من الشرور ؟!!

وزعموا أن هؤلاء لأجزاء النور مصطفون ، وهم فى أنفسهم بالظلمة مختلطون !.. فياويلهم ويلا ويلاً [٤] ؛ من أقاويلهم قيلا قيلاً ، فى أبى عظمتهم ، وأم حياتهم ، وحبيب أنوارهم ، وبشيرهم ومنيرهم [٥] ، وعمود سبحهم [٦] وإنسانهم ، وما تعبثوا فيه من أراكنهم ، فعظموا منها غير معنى ، وسمُّوها كذبًا بالأسماء الحسنى !..

وهم يزعمون عنها – ويلهم – أنها مخالطة فى حالٍ للأقذار ، ملتبسة – فيما زعموا – بالأشرار ، تنكح فى بعض الأحايين نكاحا ، وتوكّل فى بعضها صراحا ، وتقسم تارة [٧] ، وتحدث ، ثم تقيم فى ذلك وتمكث !!

فيا عباد الله ؛ إن هذا لهو العبث العابث ، والمقال الفاسد العائث ، الذى لم يقل بمثله سوى أهله – قط – قائل ، ولم يسأل فيه بمثل عجز مسائل ابن المقفع سائل !

* **سبب جواب القاسم على مسائل ابن المقفع :**

ولقد – ويله – أكثر فى المسألة ، والمسألة لا تكثر ؛ وطغى ، حتى هممنا أن لا نجيبه ؛ لولا فخامة أن يكون على ذلك المحق متّبعًا ؛ وذلك لجهله بما سقط إلينا [٨] من مسائله ؛ (وخلط من قوله) [٩] ، ولكذبه أيضًا فيما ينحل وينتحل ؛ وكثرة ما يختلف فى [١٠] كل مسألة وينتقل ؛ وما أحسبه [١١] جالس قط متكلمًا ، ولا أحسن لمسألةٍ تفهُّمًا .

---

(١) فى س : وفشوا .
(٢) فى س : واكبروا .
(٣) فى س : فلا .
(٤) زيادة من ب .
(٥) فى د : منيرهم زعموا .
(٦) فى س ، د : شجهم .
(٧) فى س : ساعة .
(٨) فى أ : إلينا له .
(٩) فى أ : وتخليطه من مسائله فى كل خلة .
(١٠) فى أ : إليه فى .
(١١) فى أ : وأحسبه ما .

* تحذير من ضل بمقالة ابن المقفع :

فليعلم من قرأ كتابنا ، وفهم ما فيه لهم [١] جوابنا ، أن [٢] كل من غيَّرهم عمى مذهبهم وصممه ، وإن كان تلبَّسَ بضلالتهم ، فليحتذرْ غيرَ الله ونقمه ، فلقد قذفوا قذفاً ، مسخاً وخسفاً ؛ كادت السموات أن تنفطر [٣] وشوامخ الجبال أن تخَّر ، بدون ما قالوا ؛ ولأصغر [٤] - أضعافًا - مما نالوا ؛ لأن الذين قالوا قبلهم الأقوال ، وجعلوا لله ؛ سبحانه ؛ الأمثال ؛ اثبتوه ، سبحانه ؛ ولم ينفوه ؛ وإن هؤلاء انكروا ونفوا ، فلا يغترّن منهم مؤخرٌ في الجزاء ، بما يرى من استدارجه بالإملاء ، فإن الله يقول [٥] ؛ لا شريك له وتعالى عن كذب الكاذبين ؛ قوله : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨) ﴾ [٦] ؛ ويقول ؛ سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) ﴾ [٧] ؛ ويقول سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥) ﴾ [٨] .

* فإن قال قائل منهم : تحذرنى النار ، وتخبرنى عن كتابه الأخبار ، ولستُ بهما ، بموقن [٩] ، ولا بخبره - عنهما - بمؤمن ؟!

* الرد على المنكر للآخرة والألهية :

فليعلم أن أقلَّ ما عليه فيما أُنذرَ ، وفيما يعقلُ من يعقل [١٠] فيما حُذِّرَ ، خوَف الممكن [١١] المظنون ، إذا كان ما حذِّرَ [١٢] غير مستنكرٍ أن يكون ، وأن الناسَ لو

---

(١) زيادة من د .
(٢) فى س : أنه .. ؛ وفى ب ، د : أن هو .
(٣) فى س : ينفطران .. وفى د : أن ينفطرن .
(٤) فى س : ولا اصغر .
(٥) فى د : يقول سبحانه تعالى .
(٦) سورة آل عمران : آية ١٧٨ .
(٧) سورة الأنعام : الآيتان ٤٤ ، ٤٥ .
(٨) سورة ابراهيم : الآيات ٤٢ - ٤٥ .
(٩) فى س : موقن .
(١٠) فى ب : من عقل .
(١١) فى س : وخوف لممكن .
(١٢) فى س : حذّر منه .

كانوا لا يحذرونَ إلا ما يعلمه من حَذروه ، ولا ينذرُ المنذرون قوماً إلا ما عاينوه وأبصروه لقلّت النذر ؛ وفنى الحذر ؛ وإنه لو حُذِّرَ [1] جباراً ، بل إنساناً ذليلاً ؛ لارتاعَ له ارتياعاً ، ولا ستشعرَ [2] من الخوفِ لتحذيرهِ وهو له إقراعاً !

فكيف بملك الملوك ، ومن له ملك كل مملوك ؟! ذلك الله [3] العلى الجبار ، الذى بإرادته كانت الظلم والأنوار ؛ والسلام على من اتبع الهدى ؛ وآثر رضى الرب الأعلى ، فرضى من الأشياء مرتضاه ، واصطفى من الأمور مصطفاه ، فأدى إليه فى نفسه حقه ، وعلم أنه هو الذى فطره ، وأحسن خلقه ، وأن له عليه فرضاً واجباً ، أن يكون لما أحب محباً ، ومن كل ماكره من الأمور قصياً ، ولمن والى من خلقه وليا ، ولمن عادى ، سبحانه ؛ من أهل الأرض عدواً ؛ فإنه لا يعادى ؛ سبحانه ؛ إلا مسيئاً أو سوءاً .

والحمد لله رب العالمين كثيراً [5] ؛ وصلواته

على محمد ، وآله الذين طهرهم تطهيراً [6] .

تم بعون الله وتوفيقه

* * *

---

(١) فى س : لو حذرت .

(٢) فى أ : لا استشعر .

(٣) زيادة من ب .

(٤) زيادة من أ ، س .

(٥) زيادة من أ ، س .

(٦) فى أ ، س : وآله الطاهرين .

الفهـــرس

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
– المقدمة	٥
– مانى والمانوية	٧
– الثنوية فى المصطلح	١١
– حول علاقة الفلسفة الهندية بالفارسية	١٥
– سبب ضياع الديانه الفارسيه القديمة وعقائد بدائيه	١٥
– تطور العقيدة عند الفرس	١٦
– الزرادشتية	١٧
– زرادشت بين الحقيقة والخرافة	١٧
– سمات الديانة الزرادشتية	١٨
– كيف نقد المسلمون الديانات والفلسفات الشرقية	٢١
– صحف ابراهيم عليه السلام	٢١
– عقائد الناس بين التوحيد والشرك	٢٣
– إبراهيم يحارب عبادة الأصنام	٢٣
– عقيدة المجوس وفرقها	٢٧
١– الكيومدتية	٢٨
٢– الزروانيـــة ٣– الزرادشتية	٣٠
– نقد أبى بكر الباقلانى لعقائد الثنوية	٣١
– مناقشة الباقلانى لمسألة تباين الأصلين وامتزاجهما	٣٣
– الديصانية	٣٥
– نبذة عن الديصانية	٣٥
– نقد الباقلانى للمجوس	٣٧
– فى نقد ابن حزم للثنوية	٤١
– ضياع كتاب المجوس المنزل	٤١
– تصحيح ابن حزم لخطأ المتكلمين	٤٣
– ابن حزم يرد على حجج القائلين بأن الفاعل أكثر من واحد	٤٥

obeikandl.com

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
١- الحكيم لا يفعل الشر ولا العبث	٤٥
٢- المانوية وفكرة التناهي بين النور والظلمة	٤٦
٣- الرد على من قال بالكواكب أو الطبائع الأربعة	٤٧
- ذكر ابن النديم في الفهرست لـ (مذاهب المنانية) :	٤٩
١- الكلام الذي قال له القوم / الوحي / الملك	٤٩
٢- ابتداء التناسل على مذاهب ماني	٥٠
٣- صفة أرض النور وجو النور	٥٢
٤- كيف ينبغي للإنسان ان يدخل في الدين ؟	٥٢
٥- الشريعة التي جاء بها ماني والفرائض التي فرضها	٥٢
٦- اختلاف المانوية حول الإمامة بعد ماني	٥٣
- فرق الثنوية	٥٥
- الزنادقة في العصر العباسي	٥٧
- مفهوم الزندقة في العصر العباسي	٦١
- الجاحظ يهاجم الزنادقة والمانوية	٦٤
- ابن المقـــفع	٦٧
- القـــاسم بن ابراهيم ورده على الثنوية وابن المقـــفع	٧١
- العقيدة وهدم الإسلام ومبادئه الثابتة	٧٤
- في وصف النسخ	٨١
- القـــاسم الرسي	٨٣
- مقدمة	٨٧
١- في ذكر ماني والثنوية	٨٧
٢- في ذكر عقائد الثنوية	٨٨
٣- قول الثنوية بالنور والظلمة وخلق الأشياء منهما	٨٨
٤- احتجاج الثنوية بنفع النور وضرر الظلمة	٨٩
- مـا الدليل على نفع النور	٨٩
٥ - دفع مذهبهم في أن النور خير	٩٠
٦ - دفع مذهبهم في أن الظلمة شر	٩١

الموضـــــوع	رقم الصفحة
– ابن المقفع ورث معتقد مانى	٩٣
– فى نقد مقالة ابن المقفع	٩٤
– الوحدانية	١٠٣
– خلقه هم اعداؤه	١٠٥
– ويقذف الله الشياطين صيانه لوحيه	١٠٥
– رجم الشياطين أمر معقول	١٠٦
– لمَ لم ينزل الله وحيه مطويًا ؟!	١٠٦
– للجن مقاعد للتسمع على أهل السماء	١٠٧
– نتائج رجم الجن وحداسة الوصى	١٠٨
– لمَ لم يخلق خلقه كلهم أبرارًا ؟	١٠٨
– ما سبب ظفر اعداء الله بأوليائه ؟!	١٠٨
– لله أن ينصر أولياءه بما يشاء	١٠٩
– قدرة الله نافذة فى نصر أوليائه . وخذلان اعدائه	١٠٩
– الله هو الرامى	١١٠
– إثبات قدرة الله وعدله	١١٠
– قتل اعداء الله لأوليائه امر يرجع لأصل الطبيعة الانسانية	١١١
– أمهل الله عباده ليعرف المطيع من العاصى	١١١
– فساد الأبدان أو الاديان يرجع للإنسان	١١١
– الله لا يضل عباده ولا يعذبهم بغير ذنب	١١٢
– وأما قوله : «وكل خلقه دَمَّر تدميراً»	١١٣
– الله لا يجبر أحداً على طاعة أو معصية	١١٣
– كل نعمة من الله ... وهى على وحدانيته شاهده	١١٤
– أرأيتم حين يقول : «ولا يغلب أحد إلا بالحيل والسلاح» !	١١٥
– وأما قوله : «يقاتل على الملك والدنيا»	١١٥
– موقف ابن المقفع من تصديق الرسول :	١١٦
– الإسلام دعوة للمعرفة والبحث	١١٧
– عمله ﷺ بما دعا إليه	١١٧

الموضـــــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
– الدفاع عن الرسول ﷺ	١١٨
– فى ذم الإسلام والدعوة للشعوبية	١١٨
– فضائل الإسلام	١١٩
– فى ذم أحكام الجور والظلم	١١٩
– ابن المقفع يذم الرسول ﷺ	١١٩
– علة خلقه للعالم	١٢٢
– الأدب مع الله	١٢٣
– وأما قوله : « فجعل الله السبيل سبيلين »	١٢٤
– لمَ خلق الله الخلق	١٢٥
– أراد الله الخير لخلقه	١٢٦
– فى نفى المكانية عن الله	١٢٨
– تأويل العرش بالسقف	١٢٨
– فى تأويل صفات فعله تعالى	١٢٨
– تخبط ابن المقفع فى تعبيراته	١٣٠
– متشابه القرآن تأويله عند الراسخين فى العلم	١٣٢
– الدليل على معرفة الله	١٣٣
– دليل الصنعة	١٣٣
– أهل البيت هم ورثة العلم	١٣٥
– خلق الله الاشياء من عدم	١٣٥
وأما قوله : « ثم زعموا ان الله خلق الاشياء كلها بيده لا من شئ موجود »	١٣٥
وأما قوله : « كن فيكون »	١٣٦
فأما قوله : « لأن كونَ شئ لا من شئ »	١٣٦
– قدم البارئ وحدوث العالم	١٣٦
– الكل ما هو إلا مجموع اجزائه	١٣٨
– فى التناهى	١٣٩
– فى الحد	١٣٩
– حدوث الاشياء	١٤٠

obeikandl.com

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

- النور كـثـرة عند ابن المقـفع ١٤٢
- تصـور ابن المقـفع لمـملكة الشـيطان ١٤٣
- فى نقد فكر المزاج بين النور والظلمة ١٤٤
- حسية النور والظلمة ١٤٥
- الاشـياء لا تتـغيـر ١٤٦
- ولا يكون من الشئ إلا مـثل جـوهره ١٤٦
- وترك النور مملكته ١٤٦
- من خرافات أحاديث الثنوية ١٤٧
- أسماء عجيبة وأساطير ١٤٨
- سبب جواب القاسم على مسائل ابن المقـفع ١٤٨
- تحـذير من ضل بمقالة ابن المقـفع ١٤٩
- الرد على المنكر للآخرة والألهـية ١٤٩
- الفـهـرس ١٥١

* * *

obeikandl.com